جهود الزاوية الناصرية

في خدمة الحديث وعلومه

على عهد الشيخين أبي عبد الله ابن ناصر وخليفته أبي العباس

للأستاذ عثمان عبد الصادق

مدخل :

الزاوية الناصرية :

تنسب إلى سيدي محمد [1] (فتحا) بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عمرو ابن عثمان، الدادسي الأصل، الدرعي [2] الاقليم، الترناتي الصقع، اليرسوتي النجار، الأغلاني المنشأ، التمكروتي الدار والوفاة.

---

* أشرف على هذا البحث الدكتور محمد الراوندي

(1) تأتي ترجمته، وعليه سيدور الحديث في الفصل الأول، ومصدر هذا النسب : الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة لوحة 266.

(2) درعة : تطلق على منطقة من إقليم ورزازات، تمتد من أكدز الواقع على بعد (66 كلمتر) تقريبا من مدينة ورزازات إلى المحاميد الغزلان الواقع على بعد خمسين ومائتي كلمتر من ورزازات تقريبا (250) بمعنى أن اقليم درعة يمتد على مسافة (190 كلمتر تقريبا) وينقسم حسب التقسيم القديم إلى خمسة أخماس هي :

ــ خمس مزكيطة، ويضم حاليا قبائل الجماعة القروية لأكدز.

ــ خمس ترناتة، ويضم حاليا قبائل الجماعة القروية لتغمار، ومنها : تيرسوت وأغلان..

ــ خمس تنزولين، ويضم حاليا قبائل الجماعة القروية لتنزولين، ومنها : زاوية الحنا، وأسرير المشان وزاكورة (الدائرة الحالية)...

ــ خمس فزواطة، ويمتد من آمزرو، إلى قبائل بني علي، وهو حاليا الجماعة الحضرية تمكروت، ومنها : أغلا ودرار، سارت، تمتيك، أيت عيسى وابراهيم، زاوية سيدي علي، أكني،...

ــ خمس لكتاوة، ويضم حاليا قبائل جماعتي : لكتاوة والمحاميد الغزلان.

موقعهـا :

تقع الزاوية الناصرية في تمكروت الثانية (3) أعني التي أسسها سيدي عمرو (4) ابن أحمد الأنصاري سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة هجرية (983 هـ) (5) وإليها أشرت في التقسيم الخماسي السابق لبلاد درعة بأنها جماعة قروية حاليا. تقع على بعد ثمانية عشر كلمتر من زاكورة في اتجاه ورزازات غربا، وعلى بعد حوالي سبعين كلمتر من لحاميد الغزلان شرقا، وشمال القريتين تزروت وزاوية سيد الناس الواقعتين على الضفة الشمالية لوادي درعة (6) اللتين تكونان معها مشيخة واحدة. وعرفت على مدار التاريخ بعدة أسماء إلى أن لازمها إسم الزاوية الناصرية.

فمنها الزاوية العَمْرية، نسبة إلى سيدي عمرو بن أحمد الأنصاري مؤسسها حيث اشتغل فيها بالتربية الروحية، وتلقين الأوراد الشاذلية.

ومنها الزاوية الحسينية نسبة إلى سيدي عبد الله (7) بن حسين الرقي بعد أن آل إليه أمرها، المتمثل في التربية الروحية وتلقين الأوراد الشاذلية، وإطعام الطعام. وكان

---

(3) أنبه إلى أن اسم تمكروت، أطلق على محلين هما :
أ. محل نسميه الآن زاوية سيدي علي، نسبة إلى أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد الجزولي البكري الدرعي التمكروتي، سفير المنصور السعدي إلى تركيا، وصاحب الرحلة المسماة : الرحلة المسكية في السفارة التركية. وهو من أسرة علمية، مات رحمه الله بمراكش سنة (1003هـ) ودفن بمشهد القاضي عياض. الدرر المرصعة لوحة 221.
ب. تمكروت الحالية والمحلان المذكوران ليس بينهما أكثر من كلمتر ونصف.
أما معنى تمكروت ببربرية المنطقة فهي الأخيرة، ويصدق عليها ذلك بالنظر إلى تاريخ تأسيسها بالمقارنة مع تاريخ القريتين المجاورتين لها : زاوية سيد الناس التي يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الثامن الهجري حسب ما ذكره صاحب الدرر المرصعة أثناء ترجمته لمؤسسها سيدي الحاج ابراهيم الأنصاري. لوحة (103) وتزروت التي يرجع تاريخها إلى عهد أحد حفدة سيدنا يوسف عليه السلام).

(4) (5) سيدي عمرو بن أحمد الأنصاري أبو حفص،الصوفي أخذ عن القطب أبي العباس أحمد بن علي الحاج (جبار المكسور)، عن أبي القاسم الغازي بسنده. وهو من حفدة الحاج ابراهيم مؤسس زاوية سيد الناس ومنها خرج فأسس تمكروت في التاريخ المذكور. مات رحمه الله سنة (1010هـ) الدرر المرصعة لوحة 252 /253.

(6) سمي وادي درعة لاختراقه بلاد درعة طولا على مسافة (1200 كلمتر) وهو أطول نهر في المغرب.

(7) عبد الله بن حسين الرقي القباب أبو محمد، من الأفراد السالكين طريق السنة في أحوالهم والمجتهدين في العبادة الزاهدين في الدنيا، حتى كان يكتفي من قوت يومه باثنتي عشرة تمرة وحساء. أخذ عن سيدي أحمد بن علي الحاجي (جبار المكسور) عن سيدي أبي القاسم الغازي مات رحمه الله سنة (1042هـ) الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة لوحة (171...).

يساعده في ذلك الشيخ سيدي أحمد بن ابراهيم الأنصاري [8] وهو من ذرية سيدي الحاج إبراهيم الأنصاري مؤسس زاوية سيد الناس. وقد سميت باسمه بعد وفاة عبد الله ابن حسين الرقي القباب الدرعي.

أما اسم الزاوية الناصرية فلم يلحقها إلا بعد وفاة أحمد بن ابراهيم سنة (1052هـ) رغم أن ابن ناصر التحق بها منذ سنة أربعين وألف (1040 هـ) مدرسا برغبة من الشيخين سيدي عبد الله بن حسين، وسيدي أحمد بن ابراهيم لينشر العلم بزاويتهما.

ومن هنا يتجلى لنا الدور البارز الذي اضطلعت به التربية الصوفية السنية التي كانت عليها المنطقة ورجالها طيلة اثنين وستين سنة في اظهار براعة ابن ناصر العلمية ومما يزكي هذه الفكرة أنه لمدة اثنتي عشرة سنة التي قضاها ابن ناصر بجانب الشيخين الروحيين : عبد الله بن حسين الرقي، وأحمد بن ابراهيم الأنصاري. لم يظهر له من التلاميذ إلا شقيقه أبو الفضل الحسين بن ناصر [9]. القائل في فهرسته :

«وكانت مدة إقامتنا في صحبتهم اثنتي عشرة سنة، وفيها أحفظني الشيخ : مختصر خليل، والتسهيل، واليدوني، والصغرى، والحوظي، وابن عطية، والخزرجية، والمدونة، في ست سنين». [10].

---

(8) أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن عبد الله الأنصاري، ولد سنة (1001هـ) وأخذ عن سيدي عبد الله بن حسين الرقي، وعليه تخرج. ولم يتزوج حتى مات شيخه خشية أن تشغله الزوجة عن خدمة شيخه. قتل شهيدا رحمه الله ضحى يوم الجمعة 11 جمادى الثانية عام (1052 هـ) الدرر المرصعة لوحة 12.

(9) الحسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمر(بن عثمان شقيق الشيخ محمد بن ناصر) أخذ القرآن عن والده إلى طه والباقي عن شقيقه، وقرأ عليه مجموعة من الكتب والمختصرات مرارا ذكرها في فهرسته. وشاركه في من لقي بمصر في حجتيه، أحداهما سنة (1070هـ) والثانية سنة (1076هـ). مثل الشيخ عبد المعطي المالكي، الشيخ محمد البابلي الشافعي وأبي الحسين علي الشبراملسي، وهؤلاء كلهم أجازوهما. وأجازهما أيضا الشيخ محمد بن سعيد المرغيتي عندما كان بحضرتهما. توفي رحمه الله في الثامن عشر من ربيع الأول عام (1091هـ). الدرر المرصعة لوحة (18 وما بعدها).

(10) فهرس الحسين بن ناصر، لوحة 4 /5.

ـــ اسمها الكامل : الفوائد الجمة في اسناد علوم الأمة لابي زيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المغافري، الجزولي الروداني المتوفى عام (1060هـ).

رتبها في أربعة أبواب فذكر في الباب الأول أساتذته وشيوخه وأحوالهم، وخصص الباب الثاني لأسانيدهم ... من مخطوطاتها : =

ومن العوامل التي ساعدت على شهرة ابن ناصر العلمية، فتور النشاط العلمي بزاوية سيد الناس، بعد أن كانت مركزا علميا هاما، تصدر للتدريس بها علماء أجلاء مثل الشيخ أبي القاسم بن عمرو التفنوتي، القصر، الدرعي الدار والمدفن. قال في الدرر المرصعة : «أبو القاسم بن عمرو التفنوتي القصر، الدرعي الدار، الامام العلامة البحر الفهامة، الشهير بالشيخ، قال أبو زيد (التمارتي) في الفوائد الجمة : ومنهم الشيخ الصالح، الفقيه المحصل، ...ويعرف عند أهل فاس بالكواش» (11).

كان رحمه الله كما قال تلميذه سيدي سعيد بن علي الهزالي رحمه الله : «لا يفرق أن يحمل شيئا (12) للسوق على عاتقه يبيعه، وينبه الطلبة إلى الاحتراف بما يكون به عيشهم، وكان عارفا بحال الصناع. ويقول : ما فاتني شيء إلا الحرارة، لم أجد من يعلمها إلي (13) من أهل فاس، مع براعته في فنون كثيرة من العلم : الفقه، والعربية، والحساب، والقراءات...» (14).

أخذ بفاس عن أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، وهو أول من وقف على حرز للامام للامان الشاطبي بما جمعه في شرطه بزاوية سيد الناس. مات رحمه الله سنة (953 هـ).

قال محمد المكي بن موسى الناصري (15) : «وإنما قيل له الشيخ لأنه تخرج عليه جماعة من الفقهاء، منهم : سعيد بن علي بن محمد الهزالي، وأحمد البوسعيدي

= ــ نسخة بخط المؤلف تحمل رقم 513.
ــ نسخة رقم 1420 مصورة على الورق.
ــ نسخة بالخزانة الملكية تحمل رقم 12632.
ــ نسخة رقم 3693.

(11) الدرر المرصعة، لوحة 112.
(12) كذا بالأصل.
(13) كذا بالأصل.
(14) الدرر المرصعة لوحة 112.
(15) محمد المكي بن موسى الناصري : والده هو خليفة الزاوية بعد أبي العباس، ولد بتمكروت وبها نشأ، أخذ العلم عن أسلافه وأعمامه، ومن كان بالزاوية في عهده من الأعلام، له عدة مؤلفات جلها في تاريخ منطقة درعة ورجالها، وتخليد مآثر الأسرة الناصرية. ومنها :
ــ الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة.

المعروف بأكجيل [16] وأبي عبد الله الحساني [17] وسيدي الحاج الحساني، وسيدي عبد الرحمن بن لا يخاف الفلالي، وسيدي عبد الكريم العقبي، وسيدي عبد السلام البودلالي،...» [18].

وبعد وفاة أبي القاسم الشيخ، خلفه تلميذه أحمد البوسعيدي المعروف بأكجيل قبل أن يتولى قضاء درعة، من طرف المنصور السعدي. ليحل محله الشيخ علي بن يوسف الدرعي شيخ ابن ناصر بأغلان.

وقد علم من حال هذا الشيخ أنه منشغل البال كثيرا بهم الرزق والمعيشة ومن أجل ذلك كان كثير الأسفار والرحلات ومحجه المفضل : الزاوية الدلائية لأن شيخها محمد بن أبي بكر الدلائي كان يغدق عليه من عطاياه، لا سيما بعد أن حمّله الشيخ ابن ناصر إلى محمد بن أبي بكر الدلائي قصيدة يمدحه فيها ومنها :

له يدان : يد للظلم مقمعـــة	ويد جود تفيد النـاس أمــوالا
كأنما هاتــف أضحـــى يخاطبــه	أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا [19]

إذ وقعت هذه القصيدة من نفس الممدوح موقعا حسنا، فاتت أكلها ضعفين على الرسول، حيث نال من عطاياه مالم يكن معهودا منه كثرة من جهة. وفاتحة التواصل المباشر بين الزاويتين ــ الناصرية، والدلائية ــ من جهة أخرى

قال في الدرر المرصعة : «وكان يأتيه شيخه سيدي علي بن يوسف رحمه الله تعالى وزاد عليه قراءة لما كان بزاوية سيد الناس برسم الشرط» [20].

= ــ فتح الملك الناصر في اجازات مرويات بني ناصر.
ــ الرحلة المسماة ب «الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية»
ــ طليعة الدعة في تاريخ وادي درعة...
مات رحمه الله سنة 1163هـ (تقريبا).

(16) أحمد البوسعيدي بن أحمد بن محمد الدرعي المعروف بأكجيل، له قصة عجيبة مع المنجور بفاس ومع أهل مراكش لأنه قليل الفهم في النحو، أفتى في النوازل، وتولى قضاء درعة. ولد سنة (920هـ). الدرر المرصعة لوحة 7 /8.

(17) محمد الحساني الدرعي الدار والمنشأ، كان كثير الحفظ والمطالعة، ومعرفة أسماء الكتب، ونسبتها. تولى خطة الفتوى بمراكش بعد وفاة أبي الحسن السجتاني، وكان كثير الاطلاع على مظان المسائل في الدواوين، مات رحمه الله سنة (965هـ). الدرر المرصعة لوحة 260 /261.

(18) الدرر المرصعة لوحة 112 /113.

(19) الدرر المرصعة لوحة 316/317.

(20) الدرر المرصعة لوحة 275.

عصر التأسيس: عهد أبي عبد الله محمد بن ناصر (1040 هـ/1085م)

التعريف بأبي عبد الله ابن ناصر:

في سنة إحدى عشر وألف (1011هـ) بأغلان ولد أبو عبد الله «محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمرو بن عثمان، الدادسي الأصل، الدرعي الاقليم، الترناتي الصقع، اليرسوتي النجار، الأغلاني المنشأ، التمكروتي الدار والوفاة.» [21].

أخذ القرآن على والده. ثم «ابتدأ بتعلم العربية، والبيان، على شيخ الجماعة، ومربي المتعلمين، العالم العامل، المتفق على أنه : (ممن هو) [22] لعباد الله ناصح، أبو الحسن علي بن يوسف الدرعي، والفقه ما التحق بذلك، والتزمه إلى أن نال منه واستفاد، ولازمه مدة مديدة» [23].

وذلك مع انشغال الشيخ المذكور ــ علي بن يوسف ــ بما يصلح به حال معاشه، وانشغال ابن ناصر نفسه بأعباء أسرته، إذ غالبا ما يغيب والده عنها، ويتحمل هو مسؤولية تدبير شؤون والدته وإخوته.

والشيخ أبو الحسن علي بن يونس الدرعي هذا، هو الذي يمكن اعتباره شيخه العلمي، لأنه الشيخ الوحيد الذي أخذ عنه وهو في حاجة إلى الأخذ، وأما بقية علمه الذي اشتهر به، فإنه أدركه بجده وأجتهاده ولم يفته أن يعبر عن هذا الفتح الالهي عليه بما حكاه عنه خليفته أبو العباس وهو قوله : «... هذا العلم الذي حصل لي، حصلته في ثلاث سنوات» [24].

وقد ذكر له صاحب الدرر، نقلا عن مصادره شيوخا آخرين، مغاربة ومصريين فمن المغاربة :

---

(21) الدرر المرصعة لوحة 267.

(22) كذا بالأصل.

(23) الدرر المرصعة لوحة 268.

(24) المصدر نفسه لوحة 275.

ـ الشيخ محمد بن أحمد المصمودي [25] صاحب عمدة الخطيب. قال : «غير أن صحبته له يسيرة». [26].

ـ الشيخ محمد بن سعيد بن يحيى السوسي، المرغيتي. [27] اجتمع به في زاوية تمكروت فأجازه مع أخيه أبي الفضل الحسين بن ناصر، وذلك ما بين عامي إحدى وخمسين وألف، واثنتين وخمسين والف (1051 /1052هـ) لما كان المجيز في زيارة الزاوية [28].

ومن المصريين الذين لقيهم هو وأخوه أبو الفضل الحسين في حجتيه : حجة سبعين والف (1070هـ) وحجة ست وسبعين وألف (1076هـ).

ـ الشيخ عبد المعطي المالكي : أخذ عليه تلخيص المفتاح على الفنون الثلاثة : البيان، والمعاني، والبديع. وختماه عليه بالجامع الأزهر قراءة من بعض تلامذته وهما يسمعان [29].

ـ الشيخ محمد البابلي الشافعي، أخذا عليه بعض أحاديث البخاري فأجازهما جميع رواياته ومروياته، ومسموعاته [30].

ـ الشيخ أبو الحسن علي الشبراملسي، «قرأ عليه جمع الجوامع لابن السبكي في علم أصول الفقه قراءة من الشيخ وأخوه يسمع، والشمسية على القواعد المنطقية قراءة من الشيخ وأخوه يسمع» [31].

---

(25) محمد بن أحمد المصمودي، أبو عبد الله كان اماما بالجامع الكبير بترغليل. قال عنه المرغيتي في فهرسته : ثم رحل في طلب القراءة، فأخذ بتازرين عن أبي فارس سيدي عبد العزيز بن محمد. ثم انتقل إلى وادي غريس. قال المرغيتي رحمه الله : فوجدت الحقيقة عند الشيخ العارف أبي عبد الله محمد بن أحمد المصمودي (عرف به) رحمه الله. قال : فوجدت القراءة عنده كما لا يعلمها كثير من أشياخه. الدرر المرصعة لوحة 131 عندما ذكر والده أبا العباس أحمد المصمودي.

(26) الدرر المرصعة اللوحتان 275 و292.

(27) محمد بن سعيد بن يحيى السوسي المرغيتي المراكشي، من شيوخه الأجلاء مولاي عبد الله بن علي بن الطاهر بن الحسين بن يوسف بن علي الحسني السجلماسي. من آثاره العلمية : المقنع في اختصار علم أبي مفرع، فهرسته. مات رحمه الله عام (1080هـ).

(28) فتح الملك الناصر في اجازات مرويات بني ناصر، لوحتين 3 و 10.

(29) الدرر المرصعة لوحة 284.

(30) الدرر المرصعة لوحة 284.

(31) الدرر المرصعة لوحة 284.

ـــ وقد سافر الشيخ ابن ناصر إلى دادس [32] برسم الشرط، لكنه لم يمكث فيه طويلا إذ سرعان ما رجع إلى بلاده أغلان، فتولى به امامة الصلاة، وخطبة الجمعة، وتصدر لتعليم العلم. « وكانت له وجاهة عند أهل الوقت من ملوك أهل الساحل، فعظموه غاية الاعظام، وأكرموه غاية الاكرام، ووجد والده في ذلك راحة، وفرح به غاية الفرح، وسُرَّ بِهِ غاية السرور» [33].

سبب اتصال الشيخ ابن ناصر بتمكروت وانتدابه للتدريس بها.

بعدما تعرفنا على جانب من حياة الشيخ أبي عبد الله بن ناصر وهو طالب علم، وعلى بعض شيوخه نتعرف عليه طالب تربية.

يبدو أن أبا عبد الله بن ناصر، رغم ما حظي به من التعظيم والاحترام والتكريم لدى أمراء زمانه، وهو امام، وخطيب، ومدرس بأغلان. كان يشعر بفراغ روحي جعله دائم السؤال عن شيوخ للتربية، إلى أن أرشد إلى شيخيها بتمكروت : سيدي عبد الله ابن حسين الرقي القباب، وسيدي أحمد بن ابراهيم، اللذين اشتهرا بصلاحهما، وشدة اتباعهما للسنة [34]. فذهب لزيارتهما، وليرى بعينيه من سلوكهما السني ما سمعت أذناه. وكان ذلك سر إعجابه بهما. ولما هو عليه من العلم آوياه، وأكرما نزله، وطلبًا منه الاستقرار بزاويتهما لينشر بها العلم، فاعتذر لهما بالمسؤوليات المنوطة به في أغلان، وظيفية وأسرية ولكنهما استطاعا أن يقنعاه بألبقاء معهما فبقي. وكان هذا عام أربعين وألف (1040 هـ). وعن هذا الموقف قال محمد المكي بن موسى الناصري : «ثم بعد ذلك ألهم الله الشيخ [35] للبحث والفحص عن شيخ للتربية، ففحص قرى

(32) بقرية يقال لها (الجرية) وهي قرية الموقت الحيسوبي الفرضي صاحب اليواقيت في علم التوقيت أبي الحسن علي بن محمد الدادسي، الدرر المرصعة لوحة 269.

(33) الدرر المرصعة لوحة 269.

(34) يبدو أن تمكروت تفردت بهذه الميزة على صعيد المغرب، ولذلك كانت وجهة كبار العلماء في تلك الفترة الزمنية كلما شعروا بضيق، أذكر منهم على سبيل المثال، زيارة الشيخ محمد بن سعيد بن يحيى السوسي المرغيتي المراكشي لها بين سنتي (1051 /1052هـ) حيث أجاز بها الشيخ ابن ناصر وأخاه أبا الفضل الحسين ابن ناصر. ولاشك أنه لم يقصدها إلا لزيارة الشيخين عبد الله بن حسين، وأحمد بن ابراهيم. ويبعد جدا أن يذهب لزيارة الشيخ بن ناصر فالذي جمعهما بتمكروت هو زيارة الأشياخ. فتح الملك الناصر في اجازات مرويات بني ناصر لوحة 3 و 10.

(35) في الأصل (الى).

هذا الوادي قرية قرية، فلم يصادف حاجته، ولا من توفرت فيه شروط القُدْوَةِ والاتباع، ولا من له في المَعْرِفة والدين والعمل و اتباع سنة الأتباع. وبعد زمان أخبرهٔ صهره السيد محمد بن عبد القادر الساحلي الحربلي (36) الود (37) بأنه رآى بهذه البلدة أعني الزاوية، أحاطها الله في السر والعلانية رجلين صالحين تابعين لسنة رسول الله ﷺ، وآثار الصلاح والدين يلوح من غرتيهما، وعرف الولاية يفوح من حواليهما، فوفق الله الشيخ للسير إليهما فوافاهما صلاة المغرب، فلما سلما منها أخذا اثر السلام في «لااله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير». فقال الشيخ في نفسه، : هذه سنة رسول الله ﷺ، فأعجباه وماهما عليه من الأحوال المرضية، الموافقة للشريعة المحمدية. فقال لأخيه في الله، ومحبه في دين الله واتباع سنة رسول الله ﷺ سيدي ومولاي القطب أحمد بن ابراهيم نفعنا الله تعالى به : إني أردت أن تذهب معي إلى الشيخ يلقنني الورد الشاذلي، فقال : استخر الله تعالى في ذلك فقال الشيخ في نفسه : هذه أمارة أخرى على اتباعهما (38) للسنة. لأن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه الاستخارة ويأمرهم بها. فقال له قد استخرت قبل. فذهب معه للشيخ سيدي عبد الله بن الحسين فلقنه الذكر. فأعجباه وأعجبهما ورغبا في مصاحبته ومعاشرته وتعليمه العلم ونشره في زاويتهما وكان يجيء لزيارة الشيخين. قال : ومهما جلست بين يدي سيدي أحمد إلا ويقول لي : لو وجدت فقيها أو عالما نضمه إلينا ينفعنا بعلمه وننفعه، وماجلست بين يديه إلا قال لي ذلك وصرح به. فقلت له ذات يوم : لعلك يا سيدي تعنيني، فقال اياك نعني. فقلت له : يا سيدي، انني راغب في ذلك أكثر مما رغبت إلا أن (39) لي أبوين لا يريدان أن أفارقهما، وقد كان أبوه يريد أن يضمه إليه في بلدته لنفعه اياه، ودفعه عنه (وظائف أبناء الدنيا، وأهل الشرطة والمخزن) (40). لكونه معظما، موقرا

---

(36) محمد بن عبد القادر الساحلي الحربلي، لم أقف له على خبر إلا كونه صهرا للشيخ ابن ناصر.

(37) بياض في الأصل.

(38) في الأصل (اتباعهم).

(39) في الأصل (أني).

(40) هذه الوظائف استمرت في تلك المناطق إلى أن باشرها كاتب هذه السطور بيده الفانية، فتأدية الوظائف لابناء الدنيا تتمثل في العمل بمزارعهم حرثا، وسقيا، وحصادا، ودراسا...

ووظائف الشرطة، لها وجوه متعددة منها : اعلام جماعة من الأشخاص للقيام بحراسة ليلية للاعلام بكل مشتبه في هويته، كما هو الحال في أواخر السبعينات خاصة عندما هاجم أعضاء المرتزقة =

عندهم، لما اتصف به من العلم، وقصته في ذلك معهم معروفة ومع أبيه مشهورة،..» (41). وهكذا وجد ابن ناصر نفسه بين أمرين كلاهما عزيز عليه : والداه اللذان ربياه صغيرا، وهما الآن في حاجة إليه ليدفع عنهما أذى الجبابرة وتسلطهم، وشيخاه اللذان ربياه كبيرا، تربية روحية، وهما في حاجة إليه لينشر العلم بزاويتهما. غير أنه يميل إليهما بدليل قوله للشيخ أحمد بن ابراهيم : «يا سيدي إني راغب في ذلك أكثر مما رغبت» (42).

ونظرا لما للمُرَبِّيين الروحيّين من سلطة فقد استطاعا أن يقنعاه. فلازمهما مدة اثنتي عشرة سنة ليس له من الأمر شيء. وحتى التدريس ونشر العلم الذي انتدباه له فلم يظهر له خلالها طلبة إذا استثنينا أخاه أبا الفضل الحسين بن ناصر القائل في فهرسته : «وكانت مدة إقامتنا في صحبتهم، اثنتي عشرة سنة، وفيها أحفظني الشيخ مختصر خليل، واليلوني، والصغرى، والجرومية، والمدونة، في ست سنين» (43).

على أنني لا أستبعد أن يتلقى عنه صبيان البلد القرآن بالمحضر طيلة هذه المدة، ومهما يكن الأمر فإن الشيخ أحمد بن ابراهيم عهد له بالولاية بعده. وأوصاه على أهله، وبهذا أصبح مربيا روحيا، إلى جانب مهمة التدريس ونشر العلم، فقام بواجبه بحزم وعزم، لعله أقلق به بعض حسدته فدخلوا معه في صراع، اختار بعده الشيخ الرجوع إلى بلاده أغلان ليمارس فيه وظائفه السابقة لمدة سنتين (1053 /1054هـ) وفي هذا يقول أحمد بن خالد الناصري (44) : «ولما توفي الشيخ

= (البوليزاريو) لحاميد الغزلان وقد صادفتني أيام العطلة هناك فحرست ليلة نوبة أسرتنا.

ومنها العمل في بناء دور وقلاع بعض المتسلطين، كالجلاوي، والقائد ابراهيم، ولازالت هناك انقاضها وهي من الضخامة بمكان، يحكي لنا المشاركون في بنائها العجب العجاب، ومنها مثلا : دار القائد ابراهيم، بتنزلين، ومنها قلعة الجلاوي بأيت يسفول، ومنها دار الباشا بين زاكورة وتنسيطة وكان المشرف على العمال في بنائها يهودي اسمه بشارة وكان شديد التنكيل بالعمال،....

(41) الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة لوحة 269 /270.

(42) المصدر أعلاه لوحة 270.

(43) نفسه، لوحة 272 /273.

فهرسة الحسين بن ناصر لوحة 4 /5.

(44) أحمد بن خالد الناصري، المؤرخ المغربي، السلاوي، كان واسع الاطلاع، من مؤلفاته : 1. طلعة المشتري في النسب الجعفري، 2. الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى، 3. تعظيم المنة بنصرة السنة. 4. زهر الأفنان شرح قصيدة ابن الونان... انتدبه المولى عبد العزيز لتفقد الأملاك المخزنية بالدار البيضاء، مات رحمه الله سنة 1315 هـ ودفن بالمقبرة المعروفة بمقبرة باب المعلقة.

سيدي أحمد بن ابراهيم رضي الله عنه، انتقل أمر الزاوية بعده إلى سيدي محمد ابن ناصر رضي الله عنه بوصية منه وتوكيله إياه على جميع أموره من بعده،» ثم قال : «ولما توفي سيدي أحمد بن ابراهيم عاد سيدي محمد إلى أغلان لما ناله من بعض الحسدة، واستصحب معه عيال سيدي أحمد بن ابراهيم لأنه كان وصيه» (45) وبعد رؤية منامية رأى فيها شيخه سيدي عبد الله بن حسين رجع ثانية إلى تمكروت وكان أول عمل قام به، زواجه بالسيدة حفصة بنت عبد الله الأنصارية، (46) أرملة الشيخ أحمد بن ابراهيم، ووالدة خليفته أبي العباس أحمد بن ناصر وذلك من أجل أن يتمكن من الدخول عليها لمراقبة تربية بناتها من سيدي أحمد بن ابراهيم بحكم وصية أبيهن له عليهن، ودخل بها عتمة ثالث عيد الفطر ليلة الثلاثاء سنة خمس وخمسين وألف (1055 هـ). بعد أن تمنعت عليه حولا كاملا، لعدم رغبتها في ابدال فراش زوجها السابق. ولم تجبه إلى الزواج بها حتى رأت رؤيا ألجأتها إلى القبول، وأخلصت له النية. «وولد منها من الأولاد : ميمونة، أحمد أبا العباس، وتوأمين : زينب وأم كلثوم، أم سلمة، إبراهيم وسارة».

«وكانت رضي الله عنها في غاية الجد والاجتهاد في العبادة، وخدمة المسلمين لا تنام من الليل إلا قليلا، مواظبة على الصلاة في أوقاتها كثيرة الذكر، لا يفتر لسانها عن الذكر، لاتخاف في الله لومة لائم. تدور مع الحق حيثما دار، كثيرة الصدقة.

---

(45) طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 143 ج 1، الدرر المرصعة لوحة 223.

(46) حفصة بنت عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الدرعي الصالحة القانتة، العابدة ألف فيها ولدها سيدي أحمد بن ناصر كراسة للتعريف بها، ولكنه لم يتمها، وعليه اعتمد صاحب الدرر المرصعة.

توفي والدها وهي دون البلوغ ونشأت في حجر والدتها فربتها أحسن تربية، وحجبتها في دارها لا ترى أحدا من الرجال ولا يراها، وكانت تذهب بها في المواسم لزيارة الأشياخ، تزوج بها الشيخ أحمد بن ابراهيم بعد وفاة شيخه عبد الله بن حسين، وبعد أن تأيمت منه رحلت إلى أغلان مع الشيخ ابن ناصر وهي حامل. فلما وضعت حملها، خطبها الشيخ، فامتنعت من الزواج به وأبت كل الاباء، ومكثت على ذلك عاما كاملا. ثم رضيت بعد رؤيا رأتها فتزوجها الشيخ رضي الله عنه. توفيت رحمة الله عليها سنة (1095هـ) الدرر المرصعة لوحات 133 /134 /135 بتصرف كثير، طلعة المشتري 330 ج 1.

لازال عندنا بتمكروت حي يسمى : درب العبيد، قرب مقر الزاوية الناصرية لا يستبعد أن يكون هؤلاء أصولهم. ومن خصائصهم الى الان أنهم لا يملكون عقارا ولا أجنة ومصدر عيشهم في الغالب العمل في البناء. ومنهم بناؤون مرموقون.

ورثت عن أبيها أجنة ودورا وأموالا، واشترت عبيدا وإماء وأجنة وتصدقت بذلك كله في سبيل الله، وأعتقت ولم تترك بابا من أبواب الخير إلا عملت فيه...» [47].

وضعية قيام المدرسة وأسسها

1. العنصر الاقتصادي وظروف المعيشة :

بخصوص الوضع الاقتصادي وظروف المعيشة فلعلها كانت قاسية جدا، ولابأس هنا أن أذكر بما سبق في ترجمة الشيخ أبي محمد عبد الله بن حسين وهو شيخ ابن ناصر في السلوك من أنه يكتفي من قوت نهاره أو يومه باثنتي عشرة تمرة وحساء. «وكان إذا تصدق أحد على الزاوية بشيء ودعاه إلى نقله امتنع كل الامتناع وقال : لا تأتني به حاجة لنا فيه» [48].

وعن هذه الظروف المعيشية يقول محمد المكي بن موسى الناصري :

«صبر غاية الصبر على معيشته وكسوته، وكان ينام مع أهله على التراب لعدم ما يشتري به حصيرا يفرشه، وربما فرش ليفا أو جريد نخل. وقد أرسل إليه تلميذه الأجل : سيدي منصور بن أحمد التيرسوتي [49] حصيرا، فآثر وضع كتبه عليه على نفسه وحشمه. وربما تقوت هو وأهله من شعير أياما.» [50].

واستمر عليه هذا الوضع إلى ما بعد عام ثلاثة وستين والف (1063هـ) قال محمد المكي الناصري نقلا عن إنارة البصائر [51] لأبي العباس الهشتوكي [52] : «وقد

(47) الدرر المرصعة لوحة 135.

(48) الدرر المرصعة لوحة 270 ولعل قسوة الظروف المعيشية بالنسبة إلى الشيخ ومن معه من شيوخ وطلبة يرجع إلى عدم استشراف الشيخ إلى متاع الغير ولأظن السبب فيها راجعا إلى القحط.

(49) من المبكرين في الأخذ عن الشيخ ابن ناصر وشاركه في الأخذ عن القطبين : عبد الله بن حسين وأحمد ابن ابراهيم.

(50) الدرر المرصعة لوحة 271.

(51) اسمه الكامل : (انارة البصائر في ذكر مناقب القطب ابن ناصر وحزبه الأئمة الهداة الأكابر) منه بخزانة تمكروت تحت رقم (3070) بعنوان : مناقب سيدي أحمد بن ناصر. ولكنه منسوب إلى الحسين بن شرحبيل.

(52) أحمد بن محمد بن داود بن يعزى بن يوسف الجزولي التملي نسبا أحزي الشهير بالهشتوكي. تأتي ترجمته.

شاهدته في صغري لما كنت عنده بهذه الزاوية برسم القراءة، وذلك والله أعلم عام ثلاث وستين بعد الألف يأتي الطلبة بنفسه بحساء أو لبن ويرزقنا كل شهر صحفة تمر وبالليل كسكسا قليلا. يجيء لكل طالب نحو ثلاث لقيمات أو أربعة. ويقول يا معشر الطلبة : والله ما يأكل عيالنا وأهل الزاوية إلا كما تأكلون، ولانوثر أنفسنا عليكم» [53].

قلت : وسبب هذه المعيشة هو أن الشيخ لا يريد التطاول على ما حبس على الزاوية للفقراء والمساكين، وأحباس الزاوية موفورة، الشيء الذي يدل على أن البلاد ليس بها قحط.

ولم يقف الشيخ مكتوف الأيدي إزاء وضعه، بل سعى في اتخاذ أسباب تغييره. فتحسنت الأحوال، وأظهر نعمة الله عليه وعلى شيوخ مدرسته وطلبتها. وفي هذا يقول اليوسي [54] في معرض حديثه عن مكاشفات شيخه أبي عبد الله بن ناصر : «ومن عجب ما اتفق لي معه في هذا المعنى أني سافرت إليه مرة زائرا، فحين وصلته، قيل لي أن عندهم العقيقة الليلة على مولود ولد للشيخ من فلانة بنت فلان، لأمة من إماء الزاوية، وأبوها من أكابر عبيدها. فقلت في نفسي سبحان الله : كيف توصل الشيخ إلى الاستمتاع بهذه الأمة، وإنما هي حبس [55] ولا ملك له فيها وذلك أن الشيخ سيدي أحمد بن ابراهيم رحمه الله هو الذي حبس هؤلاء العبيد لخدمة الزاوية. فأشكل عليّ هذا الأمر، ثم أنه حضر لي أيضا أن أملاك الزاوية حبس من الشيخ المذكور، فكيف تأتى للشيخ أن يتوسع منها بالتزوج هو وأولاده ؟ ولئن كان فيها وجه بأن يقال : انها تكون من قبيل المصالح العامة، والشيخ عالم فيكون له مدخل في ذلك فهو لا يرضى أن يدخل هذه المداخل اللينة، ولا يسلك إلا الورع التام. ثم قلت وكيف حج هو وأولاده من ذلك ؟ وإنما هي وقف على المساكين ليأكلوا منها في موضعها. وإنهم لا يخاطبون بالحج باعتبارها، إذ لا ملك لهم فيها. وأشكلت علي هذه المسائل الثلاثة» [56] فكاشف عليه الشيخ فيها، واستمر في بيان

---

(53) الدرر المرصعة لوحة 272. طلعة المشتري ص 153 ج 1.

(54) تأتي ترجمته.

(55) السؤال المطروح هنا : إذا كانت أملاك الزاوية حبسا على الفقراء والمساكين، أليس طلبة الزاوية وجه من وجوه الانفاق عليهم منها؟ ولم عاشوا على الحالة الموصوفة ؟.

(56) طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 170 ج1. ط. حجرية.

ذلك إلى أن قال : «.... فقال : وكنت استسلفت من احدى نسائي [57] دراهم حصلت لها من ميراثها لأبيها طيبا، فاشتريت بها غنما، وقلت إن نَتجت فعسى أن يحج الانسان منها. قال : فدفعتها إلى الضيعة وهي أرض تحت درعة، فأصلحها الله حتى كانت غنم الناس تباع بسوم، وكان الكبش من غنمها يباع بأربعة دنانير. قال : وكانت أرض الخلة وهي أسفل درعة محرثة كريمة. قال الشيخ : وكان يقال بلسان العامة : لو كان في المغرب خلتان ما انباع الزرع بدرهمين، قال : وكانت ساقيتها فسدت وتعطلت فجاءني أربابها، فقالوا ان أحييت لنا هذه الساقية فلك نصف الأرض. فتعاقدت معهم على ذلك. وكتب الوثيقة سيدي علي بن محمد الفركلي قال : فخرجت ونفر من الاخوان إليها فحركناها فسلمها الله. وطلعت فكنا نحرثها، فمن ذلك تزوجنا، وحججنا، ومن ذلك نخص من رأينا أن نخصه بكرامة من الواردين علينا» [58].

2. الوضع السياسي والموقف منه :

أما عن الوضع السياسي، فقد اقترن ظهور الزاوية الناصرية بأفول نجم الدولة السعدية، وبزوغ فجر الدولة العلوية ولئن كانت بعض الزوايا زجت بنفسها في غمار المعارك السياسية فأيدت هذه الجهة، ونددت بتلك، حتى أدى بها الأمر إلى مالا تحمد عقباه، فإن الشيخ أبا عبد الله ابن ناصر رأى بثاقب فكره، ونفاذ بصيرته، وألمعية عبقريته، أن يشتغل بما يصلح به حاله، ويعود عليه وعلى البلاد بالنفع، فهجر هذا الجانب تماما. ولم يسجل عليه التاريخ مع رجالها أية مواجهة، إلا ما حكاه محمد المكي بن موسى الناصري نقلا عن رسالة «صفع القفى لمن لم يتبع سنة المصطفى» لبعض الأشياخ ونصه : «حكي أن بعض عمال [59] مولاي الرشيد قدس الله أرواحهما [60] تكلم له في فقيه وقته وولي دهره، ووحيد عصره سيدي محمد بن ناصر

---

(57) لعلها السيدة حفصة الأنصارية المتقدمة، وقد أشرت إلى أنها ورثت من أبيها مالا كثيرا وأجنة...

(58) طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 171 ج1.

(59) لعلهما : منصور بن عبد الله، وعلي بن منصور. وقد ذكرهما في لوحة 289 أنهما ذهبا بجفرية إلى المولى الرشيد، وفيها أن رجلا يظهر ببلاد الغزلان يقال له الحاج محمد يكون ملكا. وهما يعنيان ابن ناصر. وذلك عام 1070هـ عندما رجع الشيخ من حجته الأولى. ثم ذكر كيف انتقم الله له منهما بالمولى الرشيد.

(60) بياض بالأصل.

نفعنا الله به ورحمه، فأثر ذلك في قلب مولاي الرشيد. فكتب له كتابا ، ضمنه عقارب لاسعة، وسهاما صائبة، وتقريعا. لم يقف هذا الولي ببابه، ولا انشغل بأسبابه، وعتابا يصدع اللبيب، ويصير العسل طحلبا. وأمره بالوقوف لحضرته ولوعيده ان تخلف. فلما فضه وقرأه، كتب أسفله ﴿ اقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ [61] فلما بلغ مولاي الرشيد، قام وقعد، وأبرق وأرعد، وأمر محلة أن تذهب لتلك الزاوية فتتركها قاعا، ولا تبقي بها زرعا ولاضرعا. فخرجت بنحو يومين، فتنفس مولاي الرشيد تنفس الصعداء، ورجع للتفكير لطبعه الأول لما سكن غضبه، ولسيرة نعم آبائه الطيبين، وما ورثوا من الحلم ولين الجانب، وكظم الغيظ، والتجاوز عن المسيئين. فأمر برجوع المحلة. وكل من لم يشاهد في الوجود الا الله تولى رعيه. وقد قال مولاي الرشيد لما تفكر في كلامه، وأمعن النظر في خطابه : هذا الكلام، لا يصدر من قلوب فارغة، ولا من عقول من معرفة الله خالية. ولا حاجة لنا بكلامه. ان شاء خطب بنا أو لم يخطب، ما لنا فيه ولا علينا» [62]و غاية ما في الأمر حسب النص المذكور، أن الشيخ أبا عبد الله بن ناصر لا يخطب بالمولى الرشيد في الجمعة. لأنه لا يرى ذلك من الدين، أولا يراه واجبا، أو لا يراه من السنة. ولكن الوشاة رأوه خروجا عن الطاعة.

نعم مارس الشيخ ابن ناصر واجبه الديني بصفته عالما، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر بقلمه وفمه ولسانه.

فمن قبيل أمره بالمعروف ما كتب به إلى القاضي أبي مروان عبد الملك التجمعتي بسجلماسة ــ وهو من طلائع تلامذة الشيخ ابن ناصر ــ في شأن القائد عبد الملك بدرعة لما كتب به الوشاة إلى أمير المومنين. «الحمد لله وحده من محمد بن ناصر كان الله له، إلى سيدي عبد الملك التجمعتي سلام عليك ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد : فإن من التعاون على البر والتقوى، أن تتلطف في نصح أمير المومنين في أمر القائد عبد الملك، أن لا يصغي لقول طاعن فيه حتى يَتَثَبَّتَ فإني ما رأيت في درعة قائدا أرفق منه بالمساكين وأصغى

(61) الاية 72 سورة طه.

(62) الدرر المرصعة لوحة 401/300.

للموعظة، ولا أقل مبالاة بالظالم، وبالشيخ، أن ينصف منه المسكين. ولا أشد مراعاة لحق الله ولسيادة أمير المؤمنين، ولا أحمل للتأسي منه، والله المستعان» (63).

وكتب أيضا مرتين في شأن القاضي محمد بن علي الدادسي (64) بما يلي :

«الحمد لله من محمد بن ناصر كان الله له، إلى سيدي عبد الملك التجمعتي : سلام عليك ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا اله إلا هو. أما بعد : فالتحدث بالنعم شكر، وإن من أعظم نعم الله على أهل هذا الوادي، نعمة هي حسنة من حسنات أمير المؤمنين سدده الله وهي توليته سيدي محمد بن علي الدادسي قضاء درعة، فناهيك به عفة وورعا وحزما، واحتياطا وأناة وتثبتا ومضاء في صميم الحق، وقناعة وتحريا في الأحكام للعوام. مارأينا قبله مثله. ثم ان رؤساء الضلالة لما لم يجدوا منه ما اعتادوه من أحكام الجور، أكثروا الشكوى منه. فالمراد أن تكون على بصيرة من أمره، وتنبه أمير المؤمنين إن وجدت محلا، فإن ما يرومه منه هؤلاء السفهاء من تعقب أحكامه، وقبول القدح فيها، لا يليق بالمنصب الأعظم، لما فيه من خذلان الشريعة، وتوهين العزم الصالح في أهل الحق والصلاح، والله المستعان وعليه التكلان» (65).

وكتب إلى القائد عبد الله الزينبي (66) أيضا في شأن القاضي محمد بن علي الدادسي كذلك بما نصه :

«من محمد بن ناصر كان الله له، إلى الشيخ عبد الله زينبي سلام عليك ورحمة الله وبركاته. أما بعد : فإن من أعظم الحسنات التي يرجى لك به حصول الفوز عند الله يوم القيامة : أن تبذل جهدك في أمر القاضي العدل السيد محمد ابن علي الدادسي عند أمير المؤمنين، فإنه رجل تقي، لا يقبل رشوة وليس له مال ولا شيء إلا ما يأتيه الله من الرزق على يد أمير المؤمنين فاجهد جهدك أن يعوض له ما يقضي به ديونه ويكفيه مؤونة عياله، ونفقة أضيافه، فاصرف اهتمامك إلى ذلك حتى يقضيه الله كما تحب والله المستعان والسلام» (67).

---

(63) طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 259 ج 1.

(64) محمد بن علي الدادسي بن أبي القاسم توفي سنة (1094هـ) من فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط، ص 296 رقم الترجمة 2596.

(65) طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 260 ج1.

(66) لم أقف له على خبر غير هذا.

(67) طلعة المشتري ص 260 ج1.

وكتب إلى القاضي محمد بن الحسين، (68) منكرا عليه بعض التصرفات ويرشده إلى الصواب فيها :

«من عبد الله تعالى محمد بن ناصر كان الله له، إلى القاضي سيدي محمد بن الحسين : سلام عليك ورحمةالله وبركاته. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فالمومن مرآة أخيه، والنصيحة من قواعد الايمان، والعارف إذا قيل له اتق الله. وأن وجه الرشد كذا تأثر، وازداد بصيرة وتواضعا، ولم يكن ممن إذا قيل له : اتق الله أخذته العزة بالاثم. فالحذر الحذر من العجلة في الحكم بثبوت تلك التدمية * فقد قيل ان شهودها لا يعرفون المفروض من المسنون، ولا تجوز شهادة العامة، وشهادة من يأكل أملاك الخراج، ويأخذ المغارم الباطلة. وأما الرجل الذي طلبت أداء شهادته، فإنه رجل صالح وخزانة لأسرار المسلمين، يبث الناس إليه أسرارهم آمنين غائلته. فليس بصدد الادعاء والسلام» (69) فرد عليه القاضي محمد بن الحسين يهدده قائلا ما نصه : «إلى من ادعى أنه يقول الحق، وإنما يقول الباطل، ويرجم بالغيب ويقدم شهادة شاهد لم يرد أداء شهادته فبطلت وزكاه من غير تزكية ثابتة شرعا ويرمينا بالغيبة ولم يرع قوله عز وجل ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ (70) ويزعم أني أحكم بما لا حقيقة له، فلينظر ما وسوس إليه الشيطان. والحاصل أيها الانسان انك أكثرت علينا من التشويش، فانتبه وإلا رفعت أمرك إلى السلطان نصره الله، واتهم نفسك، واعرف قدرك ان شئت السلامة. وإني اقتصرت والسلام» (71).

وقد أثار هذا الجواب حفيظة الشيخ، فرد عليه بكتاب آخر (72) شديد اللهجة.

---

(68) هو أبو عبد الله محمد بن الحسين التمكروتي الدار الدرعي. تولى قضاء درعة بتكمدارت على عهد ابن ناصر. الدرر المرصعة لوحة 256.

(69) طلعة المشتري ص 144 ج 1.

(*) التدمية : أن يقول المصاب بجرح أو ضرب أو سم : دمي عند فلان. وهذه تسمى التدمية الحمراء. التدريب على الوثائق العدلية لابي الشتاء الحسن الغازي الحسيني المعروف بالصنهاجي المتوفى سنة 1335 هـ ص 360 رقم الوثيقة 192 ج 2 ط 1 سنة 1387هـ.

(70) سورة الحجرات الاية 12.

(71) طلعة المشتري ص 144 /145 ج 1.

(72) المصدر نفسه ص 145 /146 ج 1.

وكما كتب الشيخ أبو عبد الله ابن ناصر إلى القضاة والقواد، كتب إلى علماء عصره وتلامذته، وأصحابه، وفقراء الطريقة الناصرية بعدة رسائل جمعها سيدي محمد المكي بن موسى الناصري في تأليف سماه «اتحاف المعاصر برسائل الشيخ ابن ناصر» [73].

أما إذا وقع منكر من المناكر في تمكروت وما منها وإليها فإنه يتدخل مباشرة لازالته بيده. قال في الدرر نقلا عن انارة البصائر : «أخبرني [74] أيضا أنه خرج ذات يوم فوجد سقاية الزاوية مملوءة ماء، فقال الشيخ : اليوم ليس نوبة [75] الزاوية، ما هذا الماء الذي دخل لنا ولزاويتنا بغير إذن أهله، فمر به، فنزح من الساقية، وفرغ من الساقية، وما استقاه أهل الزاوية أخرجه منها، فجاءه أربابه فقالوا : يا سيدي : أنا جعلناكم في حل منه، فقال لهم : هؤلاء، وأين اليتامى والمحاجير والنساء ومن في معناهم» [76].

---

(73) وهذا المؤلف يقع في خمسة أبواب هي :
ــ الباب الأول : في رسائله إلى علماء وقته من قضاة وغيره.
ــ الباب الثاني : في رسائله إلى أخيه وذريته.
ــ الباب الثالث : في رسائله إلى أصحابه وتلامذته.
ــ الباب الرابع : في رسائله إلى امراء وقته.
ــ الباب الخامس : في أجوبته عن مسائل في فنون شتى سئل عنها.
هذا المؤلف لا أعلم له وجودا بأية خزانة لا عامة ولا خاصة، إلا أنه من مصادر طلعة المشتري في النسب الجعفري لاحمد بن خالد الناصري المتوفى عام 1315 هـ.
وتفصيل الكتاب المتقدم مصدره طلعة المشتري 174 ج1.

(74) المخبِر هو : أبو مروان عبد الملك التجمعتي، والمخبَر هو أحمد بن محمد بن يعزي الجزولي التملي الشهير بالمشتوكي وهو صاحب : انارة البصائر في مناقب القطب ابن ناصر وحزبه الائمة الهداة الأكابر.

(75) أحب أن أنبه هنا إلى معنى (النوبة، وأساسها) : اعلم أن ظروف المنطقة الطبيعية عندنا فرضت أن تتظافر جهود قرى متجاورة في اقامة سد تقليدي نسميه بالبربرية (أكوك) على وادي درعة للاستفادة من مياهه في أماكن ذات ارتفاع نسبي على المنطقة المعنية، وقد يقام على بعد كلمترات منها الشيء الذي يتطلب شق ساقية على امتداد الكلمترات المطلوبة. وهذا ما يفرض أن تمر هذه الساقية في أراضي الغير ولايتم ذلك إلا بمقابل نقدي، وغالبا ما يعجز عن أداء هذا المقابل، فيقوم أغنياء البلد بتأدية ذلك المقابل شريطة إعفائهم من العمل في حفر الساقية، والاستفادة من حصة مائية والزاوية باعتبار ما لها من أحباس وهدايا وزيارات ونفوذ روحي كانت ممن يؤدي من ذلك المقابل ومن أجله تملكت يوما أسبوعيا في النظام المائي عندنا هو يوم الأحد ونقول له (نوبة الزاوية) وهناك يوم الخميس تملكته الأسرة الموسرة التي كانت تؤدي بدورها من ذلك المقابل حسب الحصص...

(76) الدرر المرصعة لوحة 283.

أسس إقامة المدرسة

تحت هذا العنوان أتطرق للمواضيع التالية :

ـــ المستويات الدراسية.
ـــ متون المستوى العالي ومكانة الحديث فيه، ومنهج التدريس، ونظام الدراسة.
ـــ شيوخ المدرسة وأسلوب ابن ناصر في الاحتفاظ بهم لديه بالزاوية.
ـــ طلائع طلبة الزاوية.

1. جاء في محاضرة خطية حول تمكروت للسيد الشيخ ما مفاده أن مستويات الدراسة بها ثلاثة هي : ابتدائي ـــ ثانوي ـــ عالي.

2. متون الدراسة في المستوى العالي، ومكانة الحديث فيه، ومنهج التدرس، ونظام الدراسة :

عندما نتأمل كلام طلائع تلامذة الشيخ أبي عبد الله ابن ناصر مثل أبي علي اليوسي وأبي سالم العياشي، وأبي الفضل الحسين بن ناصر [77] عما حضروه من دروس الشيخ أبي عبد الله بن ناصر. نفهم منه أن مواد الدراسة هي :

ـــ الفقه : والمقرر فيه : المدونة، ومختصر الشيخ خليل.
ـــ أصول الفقه : والمقرر فيه : جمع الجوامع لابن السبكي.
ـــ اللغة والأدب : والمقرر فيهما : القاموس المحيط، والعقد الفريد، ومقامات الحريري والمعلقات العشر.
ـــ النحو : والمقرر فيه : الفية ابن مالك، وتسهيله، وكتاب سيبويه.

---

(77) هو : بناصر بن عبد السلام بن امحمد بن بوبكر بن علي بن يوسف بن محمد الكبير بن أبي عبد الله محمد بن ناصر، نقيب الزاوية حاليا. أخذ على والده القرآن، والتفسير والحديث، والفقه والتاريخ خاصة العام، والجغرافية. وحدثني من لفظه أنه : قرأ بما قرأ به ابن قاسم. فقلت له وبم قرأ ابن القاسم ؟ فأجاب : بأب غني وقلب هني. وحدثني أنه حفظ رسائل اخوان الصفاء عن ظهر قلب. أجاز له محمد الراضي بن ادريس بن علي نزيل أزمور باجازة عامة مؤرخة في فاتح سنة (1377هـ) وأجاز له الشيخ رحالي الفاروقي باجازة عامة أيضا ضمنها أعلى أسانيده في صحيح البخاري بتاريخ 25 جمادى الأولى عام 1395هـ موافق 06 /6/ 1975م. ولد المترجم له عام (1336هـ)موافق (1916) ولازال على قيد الحياة متع الله بوجوده.

ـــ الحديث ـــ وهو الذي يهمنا ـــ والمقرر فيه : الكتب الستة التي تحظى هناك بعناية خاصة، وهذه العناية تتمثل في تخصيصه لدراستها ما بين الظهرين طيلة أيام السنة، وفي رمضان يرجع لسرد البخاري. قال محمد بن عبد السلام الناصري[78] : «وكان الشيخ أبو عبد الله بن ناصر يعمر ما بين الظهرين دائما في أيام السنة بقراءة الكتب الستة دراية، فكلما ختم واحدا بدأ آخر. وفي رمضان يعود لسرد البخاري على عادة ابن غازي....».

وهو في أول أمره يعتمد على أصله من نسخة ابن سعادة، واعتنى غاية الاعتناء بتحرير الروايات وتوجيهها بأحسن التوجيهات، قال ابن عبد السلام : «وقد كان الامام أبو عبد الله والد أبي العباس المذكور في زمانه معتنيا غاية الاعتناء بتحرير الروايات، وتوجيهها بأحسن التوجيهات، يشهد بذلك ما كتبه على أصله من ابن سعادة أبي عمران، قرين الأخذ مع عياض على أبي علي الصدفي» [79].

وبعد أن اجتمعت لديه عدة نسخ أهداها إليه تلامذته. اختار نسخة أبي ذر الهروي. قال في المزايا : «ثم إن الامام أبا زيد عبد الرحمن المكناسي، أهدى لشيخه ابن ناصر المذكور نسخة رباعية من ثمانية عشرة جزءا، رواية أبي ذر الهروي من المشارقة يروي عن البخاري بواسطة الكشميمني عن الفربري ثم تنافس تلامذته : اليوسي، والتجمعتي، والعياشي، وأبو الحسن علي المراكشي في ذلك فجاء كل للشيخ بنسخة جيدة مقروءة، فراى الشيخ اختيار رواية أبي ذر، فالتزم القراءة منها حتى أظهر ابنه أبو العباس رواية اليونيني...» [80].

منهجه في التدريس، ونظام الدراسة :

أما عن منهجه في التدريس فقد أجمعت مصادر ترجمته على أنه كان يقتصر على صورة المسألة وحل المشكل، وكان يرى أن كثرة التنقل ضررها بالمتعلم أكثر من نفعها. وذلك ما لم يراجع في مسألة من المسائل المطروحة في مجلسه.

(78) محمد بن عبد السلام الناصري السلاوي. قيل : ليس في آل ناصر اعلم منه بعد الشيخين. أخذ بفاس على شيوخ عدة منهم أبي زرعة العراقي، كانت له حظوة عند المولى سليمان وكان هذا الأخير يبعث معه هداياه إلى أمراء الحرمين، ومصر والشام. له عدة تآليف منها : المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا ومنها : الرحلة الحجازية. مات رحمه الله عام 1238هـ.

(79) المزايا فيما حدث من البدع بام الزوايا لوحة 19.

(80) المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا لوحة 17.

وأما عن نظام الدراسة : فإنه كان يتخول طلبته بالموعظة مخافة السآمة عليهم، فكانت هناك فترات راحة يومية، وعطلة أسبوعية، وعطلة سنوية. ولعل العطلة الأسبوعية تقليد لدى كافة المغاربة ويؤكد ذلك قول أبي العباس أحمد بن ناصر في رحلته وهو يتحدث عن عادات أهل المدينة المنورة : «ومن عادات المدرسين أيضا في المدينة : تعطيل القراءة في المكاتب والتدريس يوم الثلاثاء، والجمعة، ويقرأون فيما سوى ذلك من الأيام. خلاف عادتنا في المغرب من التعطيل يوم الخميس والجمعة» [81].

وعن العطلة السنوية يقول ابن عبد السلام : «والذي أدركنا عليه من هو أهل للولاية بالزاوية ينظر الأقوى والأصلح والأعلم، فيفوض له الأمر في الكتب، يدخل للخزانة حتى يأخذ ما فيه كفاية الطلبة ويعطي كلا من المتعلمين بالزمام ما يحتاجه، وعلى رأس كل سنة في آخر رمضان يحضر الزمام ويعاهد كل من بيده كتابا من المعلمين والمتعلمين...».

أما فيما يخص فترات الراحة اليومية وعطل الأعياد (الدينية) فيمكنني تفسيرها بما أدركت عليه قراءة القرآن بالمحضر على شيخنا الطالب [82] يدير هو ما أعتبره موروثا لنا عن العصر الزاهر.

---

(81) الرحلة الناصرية ص 57 ـــ 3. المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا لوحة 53.

(82) (الطالب) في عرف المنطقة يعني الشيخ، وشيخنا حفظه الله يدير بن محمد أخذ القرآن برواية ورش عن شيخه محماد أحماد بالدار البيضاء وكان يتقنها جيدا، واستشرطه أهل البلاد بعد عودته إليها لفقدان بصره، وكانت الدراسة اليومية عنده تتم على فترتين : صباحية ومسائية.

فالفترة الصباحية تمتد من صلاة الفجر إلى الساعة العاشرة، وفيها يتم ما وصفت من تجديد الألواح، بعد عرضها على الفقيه. وكتابة الجديد.

والفترة المسائية : ما بين صلاة الظهرين، وفيها يتم تصحيح ماكتبجديدا في فترة الصباح. يقرأ فيه الفقيه مع كل طالب لوحة آية آية، يتقدم الشيخ باللفظ بها ويرددها الطالب خلفه، هذا إذا كان الطالب مبتدئا وإذا كان ممن أخذ بقسط من التعليم فانه يقرأ مع الفقيه مباشرة بقراءة نموذجية، حسب رغبة الطالب، إذ هناك قراءات نموذجية ونسميها ب : (الجر) مثل : الجر الفيلالي، والجر البيضاوي، والجر الدكالي...

وفي الفترة المسائية أيضا : يكرر الطلبة ألواحهم ويحفظونها مستعدين لعرض حفظهم على الشيخ صبيحة غده. وكلما أنهى الطالب سورة أو حزبا لا يأذن له الشيخ في الشروع في التي بعدها حتى يعرض عليه التي أنهاها بحفظ تام كالماء أو كما يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾.

ويستثنى من هذا النظام اليومي في الدراسة، يوم الخميس فليس فيه إلا الفترة الصباحية ويوم الجمعة كله عطلة.

شيوخ المدرسة :

يبدو أن الشيخ ابن ناصر تحمل وحده عبىء التدريس بمدرسته لمدة لا تقل عن خمسة عشر عاما. إلى أن أدركته طلائع طلبته وهم :

ــ محمد بن عبد المومن الدرعي.

ــ أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي.

ــ أبو العباس الجزولي الشهير بالهشتوكي.

وقبل عرض بطاقات تشريعية بهؤلاء الطلبة الشيوخ، أشير إلى شيخ كبير استعاره ابن ناصر من الخارج. وترغيبا له في الاقامة عنده زوجه أخته ثم ابنته، هذا الشيخ هو محمد بن أبي يحيى بن محمد بن فتوح التلمساني الأصل والمنشأ، الدرعي الدار والملحد، المقريء، الشهير بالشيخ. أخذ بمصر عن تاج المقرئين في عصره : أبي العز سلطان. واجتمع بالشيخ ابن ناصر عند طلوعه للحج الشريف، فأخذ عنه، وتلقن منه الذكر، وصحبه في رجوعه للمغرب، ونزل عنده بالزاوية. فزوجه الشيخ اخته، ثم انها كانت عقيمة، فتبين للشيخ أنه يريد الأولاد، فقال له : طلقها وأزوجك ابنتي لعل الله يرزقك معها ذرية صالحة. فطلقها وزوجه ابنته شقيقة خليفته (83) أبي العباس أحمد بن ناصر. وولد له معها عدة أولاد ماتوا كلهم في الطاعون، ولم يبق منهم إلا سليمان (84).

وكانت وفاة صاحب الترجمة بالأكتاوة عام اثني عشرة ومائة وألف (1112هـ) (85).

ولنرجع الآن إلى الطلبة الشيوخ. فأقول وعلى الله أتكل :

1. محمد بن عبد المومن بن أحمد بن عبد الله بن عبد المومن بن عمرو بن موسى بن الحسين بن جرير، أبو عبد الله الدرعي. التزروتي المنشأ والملحد، الفرضي الحيسوبي المؤقت.

---

(83) للشيخ أبي العباس أحمد بن ناصر شقائق، والمعنية بالأمر هنا أم كلثوم. قال في طلعة المشتري نقلا عن شقيقها أبي العباس : كانت حافظة للقرآن وختمته مرارا، وحفظت مساعدة الاخوان، والوسيلة، وسيف النصر والوغليسية، وقرأت البردة وكان زواجها بالشيخ المذكور سنة (1076هـ) ماتت رحمة الله عليها في 11 ربيع الأول عام (1091هـ) طلعة المشتري ص 14 ج2.

(84) ذكر في طلعة المشتري أن اسمه : (أحمد).

(85) الدرر المرصعة لوحة 362.

أخذ عن جماعة من الشيوخ من أشهرهم :

ــ الامام أبو عبد الله ابن ناصر. ثم رحل إلى فاس، فأخذ بها عن جماعة منهم :

ــ أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي.

ــ العلامة المؤقت علي بن محمد الدادسي. وغيرهما.

كانت له اليد الطولى في علم النجامة والتوقيت، ومن آثاره شرحان على منظومة شيخه الدادسي في التوقيت، أحدهما كبير، والثاني صغير. مات رحمه الله سنة خمس وثلاثين ومائة وألف (1135 هـ) [86].

2. أبو سالم العياشي : عبد الله بن سالم بن أبي بكر العياشي، جد سيدي حمزة مؤسس الزاوية الحمزاوية بتافيلالت الرحالة المغربي الكبير.

أخذ عن الشيخ ابن ناصر بتمكروت، ودرس بها الحديث، وعنه أخذ أبو العباس أحمد بن ناصر صحيح البخاري، فأجازه فيه وفي غيره.

له عدة مؤلفات منها فهرستان وهما :

ــ «اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر» وتسمى أيضا : «مسالك الهداية إلى معالم الرواية» [87]. ذكر فيها مشايخه المشارقة والمغاربة وأسانيدهم.

«اتحاف الأخلاء باجازات الأجلاء [88]. أثبت فيها الاجازات التي كتبها له مشايخه المشارقة، وأسماء أصحابه الذين استدعى منهم الاجازة. «وهو أحد من أحيا بهم الله طريق الرواية بعد أن كانت شمسها على أشراف النخيل، ووجد من فنون الأثر كل رسم محيل...» [89].

مات رحمه الله سنة تسعين والف (1090 هـ).

---

(86) المصدر نفسه لوحة 367 /368. ويدل على كونه شيخا بالزاوية أنه من شيوخ أبي العباس أحمد بن ناصر.

(87) المصادر العربية لتاريخ المغرب للاستاذ محمد المنوني نشر كلية الآداب بالرباط ص 171.

(88) المصدر السابق ص 172.

(89) صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر ص 191.

3. أبو علي اليوسي : الحسن بن مسعود اليوسي. نسبة إلى يوسى قبيلة من قبائل برابرة ملوية. ولد سنة أربعين والف (1040هـ) وتنقل بين أقطار المغرب طلبا للعلم. فوجد مبتغاه في مدرستي الدلاء، وتمكروت.

فبخصوص علاقته بتمكروت واتصاله بها، يقول في معرض ذكره شيخه ابن ناصر : «وكنت وردت عليه في أعوام الستين وألف بقصد أخذ العلم» (90).

ومن هذا التصريح، يتضح أن علاقته بتمكروت كانت وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، وزارها أيضا في أعوام السبعين برسم مدح شيخه ابن ناصر بداليته (91) المشهورة، وتهنئته بسلامة العودة من الحج. وفي هذا يقول : «كنت في أعوام السبعين، قصدت إلى شيخنا البركة، وقدوتنا في السكون والحركة، أبي عبد الله ابن ناصر» (92).

وبعد ذلك توالت زياراته لها كل سنة. في موسم عاشوراء، قال في المزايا : «وسبب تأخير ختم البخاري المسرود في رمضان بالزاوية، إلى يوم عاشوراء، هو أن الامام اليوسي، وغيره من العلماء المترددين لزيارة الشيخ ابن ناصر قالوا له : تعذر علينا حضور قراءة الصحيح في رمضان عندكم، وأحببنا ــ إذا فاتنا ــ حضور ختمه تبركا. فوافقهم الشيخ على تأخيره لهذا اليوم المبارك فجعلوا يقصدونه في هذا اليوم، فتجتمع الآلاف من الواردين والزوار.» (93).

وقد يكون أخذ من أخذ عليه بالزاوية أثناء هذه الزيارات المتكررة. أما ما درسه من العلوم، فغير واضح لأنه متعدد المعارف، وقد يكون حاضر في غير مادة.

---

(90) المحاضرات في اللغة والأدب لليوسي ص 18.

(91) مطلعها :

عرج بمنعرج الهضاب الورد	بين اللصاب وبين ذات الأرمد
وأجز من الجزع الذي بحضيضه	أجدات أصداء العشير الهمد

وهي حوالي لخمسمائة بيت، أجمع كل من تعرض لذكرها أنها تضاهي المعلقات من حيث جزالة اللفظ. وقد شرحها اليوسي نفسه بشرح سماه (الأماني في شرح التهاني) بين في مطلعه ما ضمنها من الفنون وهي منشورة ضمن طلعة المشتري من ص 188 إلى 205 وقد عارضها غير واحد مثل سيدي عبد القادر التاستوتي.

(92) المحاضرات في اللغة والأدب ص 226 طلعة المشتري ص 162 ج 1.

(93) المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا لوحة 19.

مات رحمه الله في 15 ذي الحجة عام اثنين ومائة والف (1102هـ) بعد أن أغنى المكتبة العربية بجملة من الاثار العلمية، أذكر منها :

ــ المحاضرات في اللغة والأدب (مطبوع)

ــ فهرسته. من مخطوطاتها 1427 خ ع ك من مطبوع من ص 123 إلى 189.

ــ القانون [94]،وهو كتاب تعليمي أشبه ما يكون بجامع بيان العلم وفضه لابن عبد البر... مطبوع بالحجرية

ــ القصيدة الرائية. رثى بها الزاوية الدلائية...

4. أبو العباس الهشتوكي : أحمد بن محمد بن داود بن يعزى بن يوسف، الجزولي التملي نسبا لحزي.

أخذ عن أبي عبد الله بن ناصر، ولزمه مدة عشرين سنة، حتى أجازه. وأخذ عن أبي سالم العياشي، وعدة من علماء فاس. وكان في أول أمره قليل الفهم، حتى حكي عنه أنه قال : «قرأت الجرومية ثمانية عشر مرة، وأنا لا أفهم : قال زيد، ولا قعد زيد». ثم فتح الله عليه حتى بلغ خطة الفتوى، وتولى القضاء بمدينة تغازى ببلاد السودان. ونال بها أمر الأعظمية، وأخذ عنه جملة وافرة من علمائها وأجازهم.

له عدة تآليف منها :

ــ إنارة البصائر في ذكر مناقب القطب ابن ناصر وحزبه الأئمة الهداة الأكابر.

ــ شرح قواعد الاسلام لأبي علي اليوسي.

ــ شرح على السلم المرونق.

ــ شرح الجملة المجرادية.

---

(94) قسمه إلى ثلاثة أبواب هي :

الباب الأول : في أحكام العلم موزعة بين خمسة عشر فصلا وخاتمة.

الباب الثاني : في أحكام العالم في ستة عشر فصلا وخاتمة.

الباب الثالث : في أحكام المتعلم في سبعة عشرة فصلا وخاتمة. من المصادر العربية ص 202 /203.

(95) الدرر المرصعة (باختصار) من لوحة 20 إلى لوحة 26.

ـــ التحفة في النحو.
ـــ جواهر المعاني فيما يتعلق بأحكام الروح النوراني.
ـــ الدر المنظم في إضافة حروف المعجم.
ـــ القلم المبسوط في بيان حكم بيع المضغوط.
ـــ أرجوزة في تحريم الدخان، سماها : اللؤلؤ والمرجان في تحريم الدخان.
ـــ رحلة إلى الحج. ذكر فيها من لقيهم من الأعلام في طريقه.
ـــ تقاييد ما بين أسئلة وأجوبة، قال محمد المكي بن موسى الناصري : «لو جمعت لأتت في مؤلفات» [96].
ـــ فهرسته المسماة : قرى العجلان بإجازات الاخوان.

مات رحمه الله عند طلوع فجر الواحد عشر من جمادى الثانية عام سبعة وعشرين ومائة وألف (1127 هـ) ودفن في المقبرة التي بداخل الزاوية.

5. أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن محمد بن منصور بن داود بن مسلم السباعي الأستاذ، الامام، العلامة، المقريء، المحقق.

ولد سنة أربع وثلاثين وألف (1034 هـ) وقيل سنة سبع وثلاثين والف (1037 هـ).

أخذ عن ابن ناصر، وحضر دروسه في الفقه، والحديث، والتفسير، واللغة. وكان عنده المخصوص من العلوم، والمشار إليه بالمنطوق والمفهوم. واختصه بتأديب ولده الخليفة أبي العباس وإقرائه.

وممن أخذ عنه من غير ابن ناصر محمد بن سعيد السوسي المرغيتي، وأبي سالم العياشي، وعلماء فاس، ولقي في رحلته إلى المشرق عددا من الأعلام بمكة، والمدينة، ودمشق، ومصر...

استقر بالزاوية الناصرية، واشتغل فيها بالتدريس، وكان قدومه إليها، سنة اثنتين وخمسين والف (1052 هـ).

والغالب عليه إقراؤه علم القراءات وممن أخذها عنه :
ـــ أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر.

---

(96) الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة لوحة 26.

ـــ أبو العباس محمد بن عبد الرحمن بن عبد الملك السجلماسي الأنصاري نزيل درعة، ودفين الزاوية الناصرية.

وأخذ عنه أيضا :

ـــ أبو عبد الله الحوات.

ـــ أبو عمران موسى بن محمد الكبير بن محمد بن ناصر، وأجاز له هو والذي قبله.

من آثاره العلمية :

ـــ قصيدة في القراءات سماها : سمط الجمان في قراءات السبعة النعمان.

ـــ فهرسته المسماة الشموس المشرقة بأسانيد المشارقة والمغاربة.

قال محمد المكي بن موسى الناصري : «وأنشأ صاحب الترجمة كتبا كثيرة، وحبسها على من ينتفع بها (من ولده وغيرهم ما لم تكن فيه أهلية) (97) وأشهد على نفسه بذلك».

مات رحمه الله سنة خمس وثلاثين ومائة وألف (1135هـ) (98).

الطلبـــة :

إلى جانب الطلبة الشيوخ الآنفي الذكر، هناك عدد كثيرون من طلبة الزاوية في عهد الشيخ أبي عبد الله ابن ناصر، لا يحصرهم عد. وقد ذهب الشيخ في محاضرة له حول تمكروت إلى أنه كان يتخرج فيها على عهد الشيخ أبي عبد الله سنويا، أربعمائة وألف طالب.

وبضرب عدد الخريجين السنوي في مدة الشيخ الرسمية بتمكروت، وهي ثلاثون سنة (1055 إلى 1085هـ) يكون الناتج اثنين وأربعين ألف طالب، ولعله لا مبالغة فيه.

وقد وعد محمد المكي الناصري بأنه سيفردهم بتأليف مستقل ان فسح الله له في العمر حيث قال : «إن فسح الله في العمر فأفردهم بتأليف أسميه : بهجة المعاصر

---

(97) كذا في الأصل.

(98) الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة لوحة 109.

في من قرأ على الشيخ أبي عبد الله بن ناصر» [99] وذلك بعد أن ذكر منهم طائفة.

ومن أجل هذه الكثرة، وحيث أن المنبث لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى فسأكتفي بالاشارة إلى بعضهم في مجموعتين.

أ. أولاد الشيخ أبي عبد الله ابن ناصر.

ب. الطلبة الأجانب.

أ. أولاد الشيخ :

أنجب الشيخ ابن ناصر اثني عشر ولدا ذكرا، وعُرِفُوا كلهم بالصلاح. وأما العلم فعرف به منهم أربعة هم :

1. أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر : ولد سنة سبع وخمسين وألف (1057 هـ). وهو خليفة والده، وهو أصغر بني أبيه.

أخذ عن والده، وشيوخ مغاربة ومشارقة وأجازوه، بعضهم بلفظه، وبعضهم بخطه، وقد أثبتها في رحلته. وبعضها ــ إجازاته ــ في «فتح الملك الناصر في اجازات مرويات بني ناصر».

توفي رحمه الله سنة تسع وعشرين ومائة وألف (1129 هـ). وسيأتي مزيد الكلام عليه في مبحث لاحق بحول الله.

2. أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر : ولد سنة سبع وخمسين والف (1057 هـ).

أخذ عن والده، وأبي سالم العياشي، وبعثه والده إلى فاس فأخذ عن علمائها ومنهم اليوسي، وأجازه غير واحد بخطه، وبعض اجازاته مثبتة في «فتح الملك الناصر».

توفي رحمه الله سنة احدى وتسعين والف (1091هـ).

---

(99) هناك عدة مؤلفات في طلبة الزاوية الناصرية منها :

ــ الدرة الجلية في مناقب الخليفة لمحمد بن عبدالله الحسني البوشعيبي الحسني كان بقيد الحياة عام 1203 هـ دون فيه مآثر الشيخ أبي العباس أحمد ابن ناصر ومعه أشياخه وخلفاؤه. من بعد وضمنه حوالي (250) ترجمة لتلامذته.

ــ تحفة المعاصر في بعض صالحي تلامذة أبي عبد الله بن ناصر. لمحمد بن عبد الله الحوات والد سليمان الحوات وهو مطبوع بالحجرية (من دورية المناهل ص 24 عدد (15) الخاص بذكرى أبي علي اليوسي.

3. أبو الحسن علي بن محمد بن ناصر : أخذ عن والده وأبي عبد الله محمد بن سعيد السوسي المرغيتي، المراكشي الدار السوسي الأصل. وأبي علي اليوسي، وأبي سالم العياشي وأجازه، واجازاته في «فتح الملك الناصر» مع اجازاته الأخرى من أعلام فاس.

وبعد وفاة والده حدث خلاف بينه وبين أبي العباس الخليفة. فهاجر إلى سوس فأسس به زاوية فرعية، وبقي بها إلى أن مات سنة تسع ومائة والف هجرية (1109هـ) وأمر أبو العباس بحمله إلى الزاوية الناصرية فحمل إليها.

وأجيز من قبل أعلام أجلاء واجازاته مثبتة في «فتخ الملك الناصر»

4. محمد الكبير بن ناصر : ولد سنة ست وأربعين ألف(1046هـ).

أخذ عن والده وتدبج معه ورحل إلى فاس، فأخذ عن علمائها. واستجاز محمد بن عبد الرحمن بن محمد الروداني التلمساني فأجازه، وهي في «فتح الملك الناصر». له معرفة بعلم الجدول، فَنَهَاهُ والده عن تعاطيه، فأبى إلا أن يضمن له الرزق، وهو والد أبي عمران موسى خليفة الزاوية بعد أبي العباس، نزل بأرض البربر بالغرب، بزاويته المعروفة بتمكروت وبها توفي يوم الاثنين التاسع والعشرين من صفر عام ستة وعشرين ومائة وألف (1126هـ).

ب. الطلبـــة :

1. أبو مروان التجمعتي : عبد الملك بن محمد بن مروان، العباسي السجلماسي أخذ عن أبي عبد الله بن ناصر. وولاه المولى الرشيد قضاء سجلماسة، وهو الذي كاتبه ابن ناصر في شأن القاضي محمد بن علي الدادسي، في شأن القائد عبد الملك توفي رحمه الله سنة ثماني عشرة ومائة وألف (1118هـ).

2. أبو عبد الله محمد بن سليمان الروداني، قرأ على الشيخ ابن ناصر بتمكروت أربع سنوات، ثم طاف في البلاد، وحط رحاله ببلاد الحرمين مجاورا. والتقى به هناك شيخه ابن ناصر فساعده في شراء أمة ثم كاتبه ابن ناصر في شأنها لما حملت منه يخبو فيها بصلاحها ويشكره. من مآثره العلمية : فهرسته المسماة بـ «صلة الخلف بموصول السلف».

ووصفه اليفرني في الصفوة [100] بأنه شعلة الذكاء وحكيم الاسلام. توفي رحمه الله سنة خمس وتسعين والف (1095هـ).

3. المولى محمد بن الشريف، أيام زيارته لتمكروت في عهد ولايته بدرعة قال في الدرر المرصعة : «... وأنه درس فيها الكتب المتداولة بين الناس كلها. أقرأ الألفية لأولاده مرارا، والتسهيل للعالم البليغ، الأورع، والسيد الجليل الأرفع، مولانا محمد بن الشريف السجلماسي، وجماعة من الأئمة». [101].

واكتفي من الطلبة بهذا القدر.

وضع أساس الخزانة الأثرية

ما من نشاط إلا ولابد له من أدوات، والعلم نشاط من الأنشطة، وأدواته المصادر وخاصة العلوم الاسلامية النقلية. ولذلك اهتم بها المسلمون منذ القديم فخصصوا لها بنايات عرفت بدار الكتب أو الخزانة. تعظيما لشأنها وإجلالا لها.

ولما كانت الثقافة التمكروتية اسلامية محضة، فلابد لها من مصادر ولابد لهذه المصادر من خزانة تحويها. وهذا ما حدث بالطبع وخاصة في عهد أبي العباس بعد أن وضع أبو عبد الله ابن ناصر أسسها بما يلي :

1. النسخ بيده : قال محمد المكي بن موسى الناصري : «فنسخ بخط يده الكريمة، عدة كتب منها : القاموس المحيط، والقاموس الوسيط، والمرادي على التسهيل، وأمالي أبي علي القالي وبعض أجزاء العقد الفريد لابن عبد ربه» [102].

2. الاستنساخ : ومما وقفت على أنه استنسخه كتاب «الحلية» لأبي نعيم الاصفهاني. قال أحمد بن خالد الناصري : «ومن جوده رضي الله عنه أن الامام العلامة سيدي المهدي الفاسي شارح دلائل الخيرات وغيره، نسخ للشيخ رضي الله عنه بيده كتاب الحلية للحافظ أبي نعيم، فوصله الشيخ رضي الله عنه، بثمانمائة مثقال سكة ذلك التاريخ» [103].

(100) صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر ص 196.
(101) الدرر المرصعة لوحة 284.
(102) نفسه لوحة 271.
(103) طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 303 /304.

3. هدايا طلبته [104].

4. تآليفه، ويغلب عليها الطابع الفقهي، وغالبها منظوم وهي :

أ. غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب [105]. قال في الدرر المرصعة : «أبدع فيها وأغرب، وأتى فيها بما أعجب وأطرب وأكثر فيها من اللغات [106] قصدا منه بذلك على ما قيل، تعليم أهل هذه الأزمنة التي غلب عليها واستولت على ألسنتها العجمة واللكنة، اللغة التي يفهم بها كتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ» [107].

وهذا التأليف قد شرحه غير واحد، ممن يأتي الحديث عنهم.

ب. مساعدة الاخوان. وهي أيضا مشروحة من طرف عدد من طلبة الشيخ.

ج. مناسك الحج. قال عنه في الدرر المرصعة : «اعتمدها أهل هذه الآفاق الغربية لكونه أوضح فيها المحتاج إليه في أفعال الحج والعمرة» [108].

هـ. خطبه البليغة.

و. الأجوبة الناصرية في بعض مسائل أهل البادية. جمعها تلميذه محمد بن أبي القاسم الصنهاجي.

ز. سيف النصر. قال في الدرر المرصعة : «...الشائع الذكر، المواظب على قراءته حملة القرآن فراغهم من الحزب...» [109].

وقد شرحه غير واحد، ومن شروحه «هداية مالك الأمر إلى موارد سيف النصر» لأبي علي الحسين بن شرحبيل البوسعيدي.

---

(104) سبقت الاشارة إلى نسخ البخاري التي تنافس طلبته في اهدائها إليه.

(105) غالبها ضمنه أحمد بن خالد الناصري طلعته فنشر ضمنها بدءا من ص 313 ج 1 إلى آخر ج1. وفي الدرر المرصعة. سماها (الغنيمة في الصلاة على خير البرية).

(106) بياض في الأصل.

(107) الدرر المرصعة لوحة 279.

(108) المصدر أعلاه لوحة. 28.

(109) الدرر المرصعة. لوحة : 281.

ح. اصطلاحات في العربية.

ويضاف إلى ذلك تصحيحه للكتب ومقابلتها، وكتابةالفوائد عليها وتحشيتها. قال في الدرر المرصعة، نقلا عن الجزولي في الانارة بعد ذكره ما نسخه : «وفي تصحيح الكتب. ومقابلتها، وكتب الفوائد على حواشيها. وقد رأيت كثيرا من كتبه عليها خط يده .بقابلة وطررا، وخصوصا نسخ الصحيحين وقد رأيت كراريس عديدة، لدى ولده وخليفته مولانا أبي العباس، وقانا الله واياه مصارع الخزي والباس، على صحيح البخاري نافعة جدا لوأتمها» [110].

5. الشراء : قال في الدرر نقلا عن الانارة : «واشتغل الشيخ بتعليم عباد الله، والمطالعة، وجمع الكتب : نسخا وشراء» [111] وذكر السي الشيخ في محاضرة له حول تمكروت : أنه كان مولعا بشراء الكتب حتى ان المصريين كلما رأوه يقولون : ها هو باز الكتب قد نزل.

تلك هي موارد خزانة الشيخ أبي عبد الله محمد بن ناصر ومقرها في بدء أمرها، حصير بعثه إليه تلميذه : منصور بن أحمد التيرسوتي ليفرشه لنومه مع حشمه. «فآثر وضع كتبه عليه على نفسه وحشمه. رضي الله عنه.» [112].

ولما جاء عهد خليفته أبي العباس أحمد بن ناصر بنى لها خزانة جيدة ممتازة كما سنرى في حينه.

هذا هو أبو عبد الله بن ناصر، ثالث الثلاثة الذين أبقى الله بهم العلم في المغرب، في القرن الحادي عشر، كما جاء في القولة المحكية عن الشيخ عبد الكبير السرغيني وهي : «لولا ثلاثة لانقطع العلم في المغرب في القرن الحادي عشر : لكثرة الفتن التي ظهرت فيه، وهم : سيدي محمد بن ناصر في درعة، ومحمد بن أبي بكر الدلائي في الدلاء، وعبد القادر الفاسي بفاس» [113].

وهذا هو بركة المغرب كما قال المحبي في «خلاصة الأثر» فيما نقله أحمد بن خالد الناصري : «أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي، المغربي، النحوي، الناظم،

(110) المصدر نفسه لوحة 271.
(111) نفسه لوحة 271.
(112) الدرر المرصعة لوحة : 271.
(113) نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ص 274 /275.

الناثر مجدد الطريقة الشاذلية، مربي العلماء والفقهاء، بركة المغرب صاحب الكشوفات، وواحد الدهر، أجمع المغاربة على جلاله وعظم قدره وما أحد بلغ رتبته في الاشتهار عندهم، فإني كثيرا ما أسأل عنه أحدا من المغاربة إلا ويبادرني بذكر فضائله وولايته من أول وهلة، ولا أراهم في وصف غيره كذلك» [114].

أسلم أبو عبد الله محمد بن ناصر نفسه لله راضيا مرضيا، غروب الثلاثاء سادس عشر صفر عام خمسة وثمانين وألف (1035هـ).

قال في «انارة البصائر» : «وصفرت منه البلاد في صفر، غروب الثلاثاء السادس عشر منه، عام خمس وثمانين وألف وهو ابن أربع وثمانين سنة» [115].

عصر التطور والازدهار: عهد أبي العباس (الخليفة 1085 ــ 1129هـ)

أبو العباس الخليفة :

هو أحمد بن محمد بن ناصر، والدته : حفصة بنت عبد الله الانصارية نجلة الأقطاب، وأرملة القطب أحمد بن ابراهيم الأنصاري.

ولد يوم الخميس ثامن عشر رمضان الأبرك عام سبعة وخمسين وألف (1057هـ) [116] نشأ في حجر والده، وعليه أخذ وتخرج في الفقه، والحديث والتفسير.

وقرأ الصحيح على أبي سالم عبد الله بن سالم العياشي فأجازه فيه وفي غيره.

وأخذ أيضا عن :

ــ أبي العباس الجزولي الشهير بالمشتوكي.

ــ ومحمد بن يحيى بن فتوح التلمساني.

ــ وأبي اسحاق ابراهيم بن علي بن محمد بن أحمد بن منصور.

وغيرهم من مشايخ الزاوية.

---

(114) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج 4 ص 238. الدرر المرصعة لوحة 294.

(115) طلعة المشتري ص 11 ج 1.

(116) ترجمته مبسوطة في الدرر المرصعة من اللوحة 44 إلى 103، وطلعة المشتري في النسب الجعفري من ص 17 ج 2.

لقي في الشرق أثناء زياراته للديار المقدسة، أئمة أكابر، وعلماء مشاهير، رحبوا به في منازلهم، وفتحوا له أبواب خزائنهم، وأطلعوه على ذخائر كتبهم وأفادوه وأجازوه (117) باللفظ تارة وبالكتابة أخرى.

قال الناصري نقلا عن الروض الفائح لأبي علي المعداني (118) :
«هو شيخ المشايخ الأعيان، وغرة العصر والأوان، علم الأعلام، وقدوة الأكابر الكرام، ومحيي مآثر السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فيض مواهب الأسرار الالهية، ومربي أرباب الجذب والسلوك،... كان الشيخ الجليل القدر، العظيم الخطر، عالما عاملا، كاملا واصلا، آية الله في زمانه، ومنة من منن الله سبحانه على أهل عصره وأوانه. عظيم الشأن، غزير الاحسان،... وتتلمذ له خلق لا يحصى عددهم ممن سبقت لهم العناية من الرحمن الرحيم، لازال ماء مدده المعين جاريا، وسره في قلوب المحبين والصديقين ساريا» (119).

وفي الدرر المرصعة نقلا عن قرة عين المومنين لأحد المصريين (120) : «ومنهم الشيخ الفاضل، حاوي الفضائل، الشيخ أحمد بن ناصر المغربي المالكي الشاذلي،

---

(117) هذه الاجازات وخاصة المكتوبة أثبتها أبو العباس في رحلته وهي :
— اجازة الشيخ علي الزعتري سنة 1097 هـ ص 119 ج 1.
— اجازة الشيخ محمد البقري بتاريخ 17 صفر عام 1110هـ ص 140 /141
— اجازة الشيخ عبد الله بن سالم البصري أجازه لفظا ثم كتبها وأرسلها له ص 303 ج1.
— اجازة الشيخ اسماعيل خطيب الحرم بالمدينة 53 ج 2.
والاجازات المذكورة أثبتها محمدا لمكي بن موسى الناصري في «فتح الملك الناصر في اجازات مرويات بني ناصر» ومعهن أبي سالم العياشي للمترجم.

(118) هو أبو علي الحسين بن محمد المداجي التادلي، كان حيا سنة (1180هـ) واسم الكتاب (الروض اليانع الفائح في مناقب أبي عبد الله المدعو بالصالح». منه خمس نسخ بالخزانة العامة بالرباط. والسادسة بالخزانة الملكية تحت رقم 61 خ م.

(119) طلعة المشتري ص 99 ج 2.

(120) هذا المصدر، من مصادر الناصري في طلعة المشتري دون نسبة، وسعيت في الكشف عن مؤلفه فراجعت بعض الفهارس علني أجده منسوبا فلم أفلح.
لكن بمقارنة النص المقتبس وبالأخص عبارته «وجاء رضي الله عنه إلى بيتي وأكل من زادي» وما جاء في ص 134 ج 1 من الرحلة الناصرية وأبو العباس يذكر من لقيهم بمصر وأكرمهم « وممن أكرمنا بهذه المدنية وجهتنا قبل هذه واستدعانا لداره وبالغ في الاكرام : الشيخ حسن نقيب الأشراف» يمكن أن يكون صاحب قرة عين المؤمنين والله أعلم.

الأشعري، الصوفي، جاء رضي الله عنه إلى مصر المحروسة في سنة تسع ومائة والف (1109هـ) قاصدا للحج الشريف، ومعه تلامذة كثيرة، واجتمع غالب مصر* عليه، وأجمعوا على علمه، وصلاحه، وولايته... وكان رضي الله عنه يخضب لحيته بالحناء اتباعا للسنة المحمدية. وجاء رضي الله عنه إلى بيتي، وأكل من زادي هو وجماعة، ورأيته أزال بعض المنكرات بيده ولسانه» (121).

تولى رضي الله عنه شؤون الزاوية والنظر في أمورها، وهو ابن سبع وعشرين سنة (27 سنة) وخمسة أشهر. بعد أن تمرس بها في حياة والده. فقام بذلك أحسن قيام، وسعى في مصلحتها، وخاصة ما تعلق منها بالعلم وأهله، والعبادة ومرافقها.

قال في الدرر المرصعة نقلا عن أبي علي الحسين بن محمد بن شرجبيل البوسعيدي (122)، في تأليفه الموسوم بـ «هداية مالك الأمر إلى موارد سيف النصر» (123) : «ثم تولى بعد ذلك، بأمره، وإذنه وتوكيله قبل مرضه بأزمنة، وترك التصرف في الزاوية وأمورها كلها في صحته، وولي ذلك تولية شرعية ولده المرتضى، وخليفته سيف السنة المنتضى، سيدنا ومولانا أبو العباس وقانا الله وإياه مصارع الخزي والباس، بحضور شهادة الجم الغفير من الأئمة المشاهير، والفقهاء الأكابر. منهم أخوه سيدي الحسين بن ناصر، ومنهم الفقيه النبيه النزيه سيدي أحمد بن محمد الأخصاصي، وغيرهما. كما سطر ذلك في عقد وصيته رحمه الله تعالى وأسكنه بحبوحة جنته، فقام أيده الله بما استخلف عليه أحسن القيام، وزاد أشياء لم تكن في عهد والده الشيخ القطب الامام.

— بنى الصومعة بنيانا رصيفا.

— وجدد مسجد الخلوة تجديدا حسنا لم يكن عليه أولاً.

— وبنى درسا للتدريس جانبه عجيب (124).

---

(121) الدرر المرصعة لوحة 49.

* كذا بالأصل، غير أن الأستاذ ألح على أنه قد يكون هناك سقط كلمة : (علماء).

(122) سيأتي ذكره ضمن طلبة وشيوخ الزاوية فهو من خواص أبي العباس ومن الأصهار وقد نازع أبا عمران في ولاية الزاوية بعد أبي العباس.

(123) شرح به تأليف أبي عبد الله بن ناصر المسمى بسيف النصر. وهداية مالك الأمر إلى موارد سيف النصر، من مصادر الناصري في طلعة المشتري والناصري من المتأخرين، إلا أن مخطوطاته ما تزال مجهولة.

(124) هذه المآثر أدركنا الكثير منها، ولم تنمح إلا بعد فيضان (تلت) سنة 1986.

ـــ وبنى مسجدا خارج باب سجلماسة، من زاويته.

ـــ وحفر بئرا بإزاء قبور شهداء الطاعون والوباء.

ـــ وبنى لديه بيتا لغسل الموتى

ـــ وبنى مسجدا جامعا وجعل فيه الخطبة بزاوية الفتح.

ـــ ومسجدا آخر جامعا أقام فيه الخطبة بزاوية البركة

ـــ وبنى مسجد آخر فيه خمسة صفوف بزاويته الجديدة بأمزرو.

وكل مسجد بمراحيضه الجيدة وحوانيته وبئره.

ـــ وبنى بمسجد الخلوة حماما وجعل من يخن الماء به ليلا ونهارا بحيث يجد مريد الطهارة ماء سخونا متى أحبه وأراده.

ـــ وبنى مسجدا آخر ومراحيض وبئرا للنساء داخل زاويته.

ـــ وخزانة للكتب،وميز خزانة كل نوع وصنف من العلوم بعلامة تميزه عن غيره.

ـــ وزاد أجنة وأمتعة للزاوية، واجتهد في منافعها وأمورها غاية.

وكان ذا خلق حسن، ونية صادقة محبا للعلم وأهله وتدريسه، وكان جوادا يكرم الطلبة، وغيرهم لا سيما طلبة العلم، وكان ذا احتمال وصبر وحلم وتواضع لا يخاف في الله لومة لائم» (125).

وحيث أن الله بسط له في الرزق فإنه بالغ في إكرام زوار الزاوية. عربا وعجما فقراء ومساكين، مدرسين وطلبة، وفي هذا يقول الحضيكي (126) : «ولقد أقام الزاوية لاقامة دين الله، واطعام الطعام، وتزدحم عليه وفود العرب والعجم، ويؤوي إليه الفقراء والمساكين وطلبة العلم، والمجاورين المقيمين من الفقهاء والمدرسين والعباد بأهاليهم، يأكلون ويشربون بفضل الله تعالى من لا يحصون عددا» (127).

---

(125) الدرر المرصعة لوحة 45 /46 قال بعد ذلك : قد أغفل كثيرا من مآثره ولعلها لم تكن إلا بعد تأليفه للكتاب المذكور، ومن أشهرها وأحسنها الزاوية المعروفة بزاوية الفضل.

(126) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله السوسي الجزولي اللكسي، ثم الايسي الشاذلي المشهور بالحضيكي مات رحمه الله سنة 1189 هـ وطبقاته. (وتسمى أيضا ب «مناقب الحضيكي») عرف فيها بصلحاء سوس في القرن العاشر وما بعده، وأحيانا صلحاء مناطق مغربية أخرى، وقليل من الشرقيين. رتبه على الحروف إلا أن تكون الأسماء في الحرف قليلة فيعدل إلى القرون. وقد يترجم لأهل المائة التاسعة، ومن مؤلفاته : كناشة الحضيكي.

(127) طبقات الحضيكي ص 79 ج 1. حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار للاستاذ المنوني ص 17.

كان رحمه الله لا يلتفت إلى أرباب الولاية والمظالم، منكبا مع اشتغاله بما سبق ذكره، على التعلم مكبا على المطالعة، قائما على البخاري وغيره من كتب الحديث.

«لم يزل رضي الله عنه مكبا على سرد الحديث وتدريس العلوم، مواظبا على قراءة سيدي البخاري وغيره من كتب الصحة، وذلك من شأنه مشهور ومعلوم يحضر مجلسه الجم الغفير من العلماء الأعلام أهل الحفظ والذكاء ورؤساء الاسلام منهم العالم المحقق المتفنن في جميع العلوم، المدقق أبو عبد الله سيدي محمد الملقب بالصغير الورزازي الدرعي، والفقيه الحافظ سيدي عبد الكريم آسكي السوسي، والفقيه الامام العلامة الهمام المشارك أبو العباس سيدي أحمد الهشتوكي السوسي، والفقيه الصالح الولي الناصح أبو إسحاق سيدي إبراهيم الاستاذ، والعالم العامل الولي الكامل ولي عهده والخليفة من بعده أبو علي سيدي حسين بن محمد بن شرحبيل، والعالم صاحب السير النافعة والفهم أخو الشيخ سيدي محمد بن محمد بن ناصر وولده الفقيه المحدث سيدي موسى بن محمد المذكور وغيرهم من العلماء الوافدين عليه لطلب بركته وما لله من الأسرار والمواهب لديه لأنه كانت مجالسه نفعنا الله به مجالس علم وحكمة ومواعظ وأذكار ورحمة» (128).

وثناء أهل العلم والعرفان على أبي العباس لا ينتهي، ومناقبه لا تحصر وقد ألف فيها قديما بعض مخلصي مريديه (129).

ومما يجلي آثاره ما تخرج على يديه من العلماء الأفذاذ، سبق التعريف ببعضهم في عهد والده رحمهما الله.

واستكمالا للصورة أذكر بعض ما تيسر منهم. فأقول :

1. البوسعيدي : أبو علي الحسين بن محمد بن علي بن شرحبيل البوسعيدي ولد سنة تسع وسبعين وألف (1079هـ) على قول صاحب الدرر. وعلى قول صاحب طلعة المشتري سنة ست وسبعين وألف (1076 هـ) (130).

---

(128) طلعة المشتري ص 100 ج 1.

(129) هناك مثلا : أ. التنبيه على بعض فضائل أبي العباس أحمد بن ناصر لأحمد بن عبد الله بيورك المشتوكي منه نسخة بخزانة تمكروت تحت عدد 3877 ضمن مجموع 3070.
ب. مناقب أحمد بن ناصر لعلي بن أبي القاسم بن أحمد البوسعيدي منه بتمكروت نسخة تحت رقم 3878.

(130) الدرر المرصعة لوحة 132 /133. طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 10، ج 1.

كان متفننا في جملة من العلوم العقلية والنقلية، وصحب الشيخ أبا العباس الخليفة في حجتين من حجاته الأربع، وشاركه في من أخذ عليهم بالشرق فيهما، وكان هو المخصوص به والمباشر له في غالب أحواله.

ومن شيوخه المعتمدين لديه أيضا أحمد بن محمد بن داود الشهير بالهشتوكي، إذ لازمة مدة مديدة تلقن الذكر عن أبي عبد الله بن ناصر. وزوجه أبو العباس أخته عاتكة [131] وبقي في الزاوية معززا مكرما حتى ظن وظن معه الناس أنه ولي عهد أبي العباس أحمد بن ناصر [132]. وقد نازع فيها بالفعل أبا عمران موسى بن محمد الكبير بن أبي عبد الله ابن ناصر [133]. ولما لم يتم له ذلك الأمر شد رحاله إلى ناحية سوس الأقصى، فأقام بها زاويته المعروفة ب «أمان ملولن» بالبربرية، بمعنى الماء الأبيض، مات رحمه الله عام 1142هـ حسب الدرر، وحسب طلعة المشتري عام (1143هـ) ودفن بزاويته.

من مآثره العلمية :

ـــ شرحان على صغرى السنوسي (العقيدة الصغرى).

ـــ ثلاثة شروح على منظومة الشيخ أبي عبد الله بن ناصر (سيف النصر).

وشرع في شرح «غنيمة العبد المنيب» وهي منظومة أخرى لابي عبد الله ابن ناصر كذلك وشرع في جمع مناقب شيخه أبي العباس أحمد بن ناصر.

2. عبد الكريم بن علي بن محمد بن علي بن عمرو التدغي [134] الأصل الدرعي الدار، أبو محمد العالم العلامة، البحر الفهامة، المحدث المتقن، المتفنن، الرحالة.

---

(131) زوج أبو عبد الله ابن ناصر أخته ثم ابنته للفقيه محمد بن يحيى بن أبي فتوح التلمساني ترغيبا له في الاقامة بالزاوية. فاتخذ أبو العباس ذلك سنة فلم يصاهر ببقية أخواته وبنات إخوته إلا العلماء.

(132) لاحظ نعته بولي عهد الخليفة في النص المقتبس من الروض الفائح لأبي علي المعداني.

(133) معلومات هذا النزاع بسطها محمد المكي الناصري في الدرر عند ترجمته لوالده أبي عمران. وقد يكون هذاالنزاع بسبب اختصاره في ذكر أخبار المترجم له بما هو أهله. لأنه مادام أن أبا العباس جعله من خواصه فذلك دليل على أنه من الرجال المهمين.

(134) الدرر المرصعة لوحة 201 ـــ طلعة المشتري ص 12 /13.

أخذ عن جماعة من الأعلام أشهرهم :

ـــ أبو الحسن علي المراكشي.

ـــ أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي.

ورحل إلى الشرق للحج فلقي به أعلاما كثيرين.

ورد الزاوية الناصرية قبل أعوام التسعين وألف وزوجه الخليفة أبوالعباس أخته سارة وبقي بالزاوية مدرسا إلى أن توفي ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الأولى عام اثنين وثلاثين ومائة وألف، ودفن بمقبرة الشيخ أبي القاسم التفنوتي، وصلى عليه أبو اسحاق إبراهيم بن علي الأستاذ بوصيته.

ويظهر مما نقله محمد بن موسى الناصر من خط أحمد بن صالح الدرعي الاكتاوي [135] أنه من مدرسي الحديث، فقد مهد لابيات نقلها بقوله :
«ومما صدر نظمه من محبنا وشيخنا العلامة الأورع الأذكى الأتقى، الزكي الأزكى، سيدي عبد الكريم التدغي نزيل الزاوية الناصرية حرس الله مجدها، وذلك في شهر ذي القعدة سنة 1107 هـ، وأقام عندنا مدة تزيد على العشرين يوما. أفادنا فيها ما هو أهل له من العلوم التوحيدية، والأحاديث النبوية وغير ذلك من العلوم والاشارات الأدبية» [136].

3. أبو عبد الله محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن ناصر [137] المراكشي المنشأ الدرعي الدار والمدفن. ولد بمراكش سنة نيف وثمانين وألف وورد الزاوية الناصرية وهو ابن أربع عشرة سنة، وكفله الشيخ أبو العباس ابن ناصر، وزوجه بابنة أخته.

اشتغل بالقراءة والتعليم، ورحل إلى المشرق صحبة أبي العباس فحج، وبعد رجوعه ولاه الامامة والخطبة بالمسجد الجامع والنظر فيما له من الأوقاف، فقام بذلك أحسن القيام، واشتغل بالتدريس والاقراء فيه إلى أن توفي.

أخذ عن أبي العباس الخليفة، وأبي العباس الجزولي، وأبي عبد الله محمد

---

(135) يأتي فإنه من التلاميذ النجباء.

(136) الدرر المرصعة لوحة 203.

(137) الدرر المرصعة لوحة 372، طلعة المشتري ص 16 ج 1.

الصغير الورزازي، وأبي علي الحسين البوسعيدي، وأبي اسحاق ابراهيم بن علي السباعي الأستاذ.

توفي رحمه الله بالزاوية الناصرية في رابع عشر جمادى الأولى ليلة الجمعة عام أربعين ومائة وألف ودفن بالمقبرة التي بداخل الزاوية، وبقية الأصهار أخبارهم نادرة وان انتسبوا إلى العلم. أوردهم كالتالي :

أ. مولاي مسعود بن يحيى بن أبي فتوح التلمساني (138) الحسني السليماني. وهو شقيق محمد بن يحيى ابن أبي فتوح الذي زوجه أبو عبد الله أخته ثم ابنته أم كلثوم، ومولاي مسعود هذا زوجه أبو العباس شقيقته ميمونة.

ب. أبو العباس أحمد بن حسين بن ناصر (139) زوجه أبو العباس شقيقته أم سلمة، توفي رحمه الله بعد عودته من الحج صحبة أبي العباس في حجته عام 1096 هـ بطرابلس ليبيا ودفن بروضة أبي رواس.

ومنهم : عبد الرحمن اليعقوبي، ومولاي المامون، وأخبار هذين أقل من القليل.

بقيت زينب من بنات أبي عبد الله مجهولة البعل، ويذكر من أصهار أبي عبد الله بعض الورزازيين، وأشدهم اتصالا بالزاوية وأكثرهم احتكاكا بأهلها : أبو عبد الله الشهير بالصغير الورزازي ولابأس أن نلم ببعض أخباره باعتباره من الشيوخ المبرزين بتمكروت فأقول :

4. هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين الورزازي منشأ التمكروتي الدرعي أصلا وملتحدا الشهير بالصغير، وبالقاضي العالم العلامة الحافظ المتفنن. كان القاضي أبو محمد عبد الكبير بن أحمد يستخلفه لما علم من غزارة علمه، حيث لازمه مدة مديدة، ثم رحل إلى فاس فأخذ بها عن أبي العباس أحمد بن الحاج الفاسي، وأبي عبد الله محمد بن أحمد القسمطيني المعروف بالكماد.

رحل إلى المشرق صحبة أبي العباس ابن ناصر فشاركه فيمن لقي من الأعلام درس بالزاوية مدة في حياة أبي العباس وبعده قليلا، ثم ارتحل ثانيا إلى المشرق فحج ثم رجع إلى مصر واشتغل فيها بالتدريس، فدرس البيضاوي والكبرى حسب ما يفهم من

(138) طلعة المشتري ص 11 ج 2.
(139) الدرر المرصعة لوحة 17 /19. طلعة المشتري ص 11 /12.

رسالة له إلى أبي عمران موسى بن محمد الكبير خليفة أبي العباس، ومنها : «... واننا والحمد لله على خير وعافية فإني قدمت من مكة إلى مصر بنفسي وتركت هناك كتبي ومالي فإن جاءني ذلك في المركب بفضل الله فنستخير الله تعالى في الرجوع للحضرة والتوجه لناحيتكم، وإلا فنرجع إلى مكة. واما الآن فإني قد اشتغلت بالتدريس، فإني في هذه الساعة أدرس الكبرى والبيضاوي ونحوهما...» (140).

كان يخطىء في شرح المختصر أمام الطلبة بالزاوية ويبين لهم أن مصدر خطئه هو الأجهوري. فقالوا له فما نفعل ؟ قال : عليكم بالحطاب والمواق فإنهما يسوقان المشهور. ومن آثاره العلمية شرح على العقيدة السنوسية.

اعتنى به أبو العباس اعتناء تاما في مأكله ومشربه وغير ذلك توفي رحمه الله سنة 1138هـ أو سنة 1139هـ ودفن بمشهد ابن القاسم وأشهب.

5. عبد الكبير بن أحمد بن عبد الكبير بن الحسين الدرعي (141) أبو محمد المحقق الفهامة البارز في النوازل الأشهب قاضي درعة. أخذ عن أبي العباس أحمد الشهير بالعطار المراكشي، وأبي اسحاق ابراهيم بن علي السباعي، وأبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، وأبي مروان عبد الملك التجمعتي، وأبي العباس أحمد بن ناصر. وكلهم أجازوه. تولى خطة القضاء بدرعة سنة احدى ومائة وألف، وبقي فيها إلى أن توفي بداره من بلدة تنفو بدرعة يوم الجمعة من شعبان سنة ست وأربعين ومئة وألف. من آثاره العلمية حاشية على مختصر خليل.

6. علي بن أحمد بن محمد بن يعزى بن يوسف التملي (142) الجزولي نسبا الهشتوكي شهرة الدرعي الدار والنشأة والوفاة أبو الحسن ابن أبي عبد الله بن ناصر من ابنته أسماء. أخذ عن والده. وعن أبي علي الحسين بن شرحبيل البوسعيدي حيث لازمه مدة من الزمان وسافر معه إلى فاس. ثم رجع إلى الزاوية ولازمها. وربما درس فيها بعض الأحيان بداره.

كانت وفاته بها عشية يوم الأحد ليوم بقي من ذي الحجة سنة سبع وأربعين والف، ودفن بالمقبرة التي بداخل الزاوية إزاء قبر والده رحمهما الله ووالده هو صاحب

(140) الدرر المرصعة لوحة 369.
(141) الدرر المرصعة. لوحة 204 /205.
(142) المصدر نفسه. لوحة 251 /252.

القضاء بالسودان، وصاحب التآليف التي منها : انارة البصائر في مناقب القطب ابن ناصر وحزبه الأئمة الهداة الأكابر. (سبقت ترجمته)

7. عبد الرحمن بن عبد القادر بن ضيف الله السويدي النسب المكناسي المنشأ الدرعي الدار أبو زيد.

نزل الزاوية الناصرية ودرس بها وكان حسن الخط فنسخ للشيخ أبي العباس أحمد بن ناصر عدة كتب قال محمد المكي بن موسى الناصري : «وجدت بخطه في آخر بعضها (يعني الكتب) ما صورته : على يد عبد الله تعالى لمن غرضه مصيب، ومن حائز المآثر بأوفى نصيب سيدنا الامام مصباح الظلام، وقدوة الأنام، سيدي أبي العباس أحمد ابن القطب الشهير، الغوث الكبير سيدي محمد بن ناصر. لازالت سيرتهم دراري، وطريقهم الأحمدية كوكب نهاري، ومنازلهم المحفوفة بالخير والبركة ان شاء الله محط الصالحين من مخلوقات الكريم الوهاب الباري. انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير» (143). زوجه أبو العباس الخليفة سكينة بنت أخيه محمد الكبير بن محمد ابن ناصر، واستوطن الزاوية إلى أن توفي بها.

8. أحمد بن صالح بن المومن بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيى (144) الشاوي أصلا الدرعي الاكتاوي مولدا ونشأة.

أخذ عن والده سيدي صالح وعن أبي العباس ابن ناصر، وعن أبي اسحاق ابراهيم بن علي الاستاذ السباعي، وعن أبي العباس أحمد الشهير بالحبيب السجلماسي. كانت له عارضة قوية في الحديث والطب وقرض الشعر.

قال محمد المكي بن موسى الناصري : «ولما قدم مولانا محمد بن السلطان اسماعيل رحمه الله، أميرا بوادي درعة، منع الناس من اقراء صحيح البخاري لأجل التصحيف واللكنة، والتحريف، إلا زاويتنا الناصرية عمرها الله بذكره. وكان يختبر الطلبة بالسرد في النسخة من الصحيح بخط مشرقي لا نقط فيها، فمن رآه خاليا مما ذكر، أقره وإلا فلا. وكان صاحب الترجمة هذا ممن يقرأ، فوشى به بعض الحسدة إلى

(143) الدرر المرصعة لوحة 95 /103.
(144) الدرر المرصعة لوحة 90 /91.

الأمير المذكور، فأمره بالقدوم عليه، فاختبرو فوجده في غاية الفصاحة، فأقره على قراءته. فقال في الوشاة المذكورين قصيدة مطلعها :

أيا معشر الحساد موتوا بغيظكم وقولوا وشقشقوا فما ضرنا القول
هذا رمضان قد تهلـــــل نوره هلموا لتسمعوا الحديث الذي أتل [145]»

من آثاره العلمية رحمه الله :

ـــ منظومة في الطب سماها : (الهدية المقبولة في حلل الطب المشمولة)
ـــ شرح المنظومة السابقة سماه : (الدرر المحمولة على الهدية المقبولة)
ـــ ديوان شعر سماه : (إشفاء المريض، في بساط القريض)
ـــ تنبيه السائل ببعض ما هو عنه سائل.
ـــ الرحلة الشافية في الزيارة الكافية. جمع فيها رحلة أخيه أبي عبد الله محمد الحجازية.
ـــ تجديد المراسيم البالية في السيرة الحسنية العالية (سيرة أبيه)

توفي رحمه الله سنة سبع وأربعين ومائة وألف (1147هـ).

9. موسى بن محمد الكبير بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر ابن عمرو، أبو عمران، الفقيه، المحدث، النحوي، اللغوي، الأديب، البياني. تولى الزاوية بعد أبي العباس.

ولد سنة ست وسبعين والف (1076هـ). والدته ميمونة بنت القطب أبي العباس أحمد بن ابراهيم الأنصاري، كلفه عمه أبو العباس الخليفة بعد وفاة والدته المذكورة بالطاعون سنة إحدى وتسعين والف (1091هـ) وتولى تربيته وتعليمه. أخذ العربية والبيان عن عمه أبي الحسن علي بن محمد بن ناصر، وكان يقرئه بضريح أبي القاسم الشيخ خارج الزاوية. ولازم مدة مديدة أبا العباس أحمد بن محمد بن داود بن يعزى الهشتوكي. وأخذ العلوم العقلية عن أبي عبد الله محمد الشهير بالصغير الورزازي وأعظم استفادته من عمه أبي العباس أحمد الخليفة الذي أخذ عنه كتبا كثيرة خاصة الحديثية، مثل : «الموطأ ومسلما مرة، وابن ماجة مرة، والترمذي وأبي داود، مرة، وإرشاد الساري في شرح البخاري، من أوله إلى آخره... وصحيح البخاري غير ما

(145) الدرر المرصعة لوحة : 99.

مرة. وكان قارئه في جلها، والمخصوص لديه بين أرباب دائرته وأهلها، وأجازه في الجميع». وأجازه في ما ذكر والسنن الصغرى للنسائي والشفاء للقاضي عياض والأربعين النووية، وسائر مصنفات النووي، والجامع الصغير للسيوطي أبو اسحاق ابراهيم بن علي الدرعي السباعي الأستاذ، وقال :«وكان أصلحه الله وأصلح به، ووصل الخيرات بسببه، قد لازم عمه الشيخ العالم الهمام السالك أبا العباس السيد أحمد بن شيخنا المذكور، وقرأ عليه كتبا منها : الموطأ مرة، ومسلم مرة، وابن ماجة مرة والترمذي مرة، وأبا داوود مرة وارشاد الساري من أوله إلى آخره، والبيضاوي مرة ورسالة القريشي مرة والعهود الصغرى مرة (146) وقوت القلوب مرة، والسهروردي مرة وابن عباد مرة، ولطائف المنن لابن عطاء الله مرة، والهدي النبوي لابن القيم مرة، والمواهب اللّدُنية للقسطلاني مرة وسيرة الكلاعي مرة، والحلية لأبي نعيم مرتين، وابن أبي جمرة مرتين، والمدخل مرة ومرادي ابن أبي جمرة ومرادي ابن الحاج، وغيرها من الكتب الاسلامية. وكان قارئه في جلها والمخصوص لديه بين أثرته وأهلها. وقد أجزته في ذلك كله...» (147).

كانت له اليد الطولى في علم الحديث والعربية واللغة والأدب والفقه، وخصوصا علمي الحديث والعربية. فمن ناحية مهارته واطلاعه في الحديث ما ذكر في الدرر المرصعة أثناء ترجمته ونصه : «وحدثني من لا أشك في حديثه أن الشيخ الوالد رحمه الله ورضي عنه في هذه المرة، أو في مرة أخرى، وافق قدومه قراءة البخاري بالحضرة بين يدي السلطان اسماعيل، وحضر جماعة وافرة من علماء الوقت، وأرباب الدولة، وكل خاص وعام. فحضر القراءة الشيخ الوالد وكان يجلس بحيث يسمع الحديث في زاوية من زوايا المسجد. فاتفق أن استشكل الحاضرون بعض المسائل الحديثية، فأجاب بعضهم بأحد أقوال العلماء فيها، فقالوا بأجمعهم : من يقول هذا ؟ فلم يدر ما يقول وبهت ونسي من أين علمه، فقال الشيخ الوالد لما سمع ذلك : نعم مقالته صحيحة، قالها فلان في شرح البخاري في سفر كذا باب كذا منه. فنظروا في الشرح المذكور فوجدوها كما ذكر في الجزء والباب منه فنظر إليه السلطان ونظر جميع أهل المجلس بنظرته وقال : من هذا الذي يتكلم ؟ فقالوا : يا سيدنا، ولد سيدي

---

(146) في الأصل : (مرة مرتين).

(147) فتح الملك الناصر في إجازات مرويات بني ناصر لوحة 26 وهي أول إجازة من اجازات الفصل الثالث.

أحمد ابن ناصر. فقال : مرحبا بدار العلم ما مثل هذا يجلس خلف الناس وفسح له في المجلس واستدعاه وعرف له قدره وزاد عنده الحظوة والشهرة وهذا مما يدل على اتقاد فهمه وحفظه رحمه الله» (148).

توفي صبيحة يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام اثنين وأربعين ومائة وألف بزاوية الشيخ المعروفة عند العامة بـ (تسغالين) ونقل إلى الزاوية ودفن بها.

وعن سبب وفاته خارج تمكروت يقول محمد المكي الناصري : «ولما دخلت سنة اثنتين وأربعين سافر من حضرة الزاوية المحروسة قصد النظر والوقوف على مالها بقطر سوس الأقصى من الأحباس : من زيت، وزرع وحديد، ونحاس، وغير ذلك لعدم ايصال شيء منها إلى الزاوية لاستيلاء بعض الكفرة الفجرة من المقدمين على ذلك، فسافر حتى بلغ زاوية أبي علي بن شرحبيل الموسومة بـ «أمامان ملولن» فلقيه بها وتكلم معه في ذلك. وكان المقدم المذكور من أصحابه وأتباعه المنوهين باسمه الزاعمين أنه الوصي، ووعده أن يكتب له ويأمره أن يرد ما أخذوه، ومنعه. وحاصل الأمر أنه لم يكتب له كما وعده بل رجع من مقالته، وركن إلى فعله القديم، فخرج الوالد من عنده وبقلبه نار تسعر. واجتاز بمراكش، ثم بدمنات وبها ابتدأه المرض الذي مات به. ثم لتادلة، ثم لزاوية الشيخ الموسومة بزاوية الفيض المعروفة عند العامة بـ «تسغالين» ثم اشتد به المرض وهو دماميل لم تضره كثيرا فتوفي» (149).

مظاهر العناية بالحديث النبوي الشريف

إذا ما حاولنا أن نقارن واقع الدراسة الحديثية في تمكروت، بين عصر التأسيس ـــ عصر أبي عبد الله ـــ وعصر النضج والازدهار ـــ عصر أبي العباس ـــ فإننا نستنتج منها أن هناك مزيدا من الاهتمام والعناية بالحديث في هذا الأخير، ـــ ولا طعن في العهد السابق ـــ وذلك لوجوه منها :

1. وفرة شيوخها الرسميين : فإلى جانب الشيخ الخليفة، هناك الأستاذ أبو اسحاق ابراهيم بن علي السباعي، وهناك عبد الكريم التدغي، وقد نبهت إلى هذا في

---

(148) الدرر المرصعة. لوحة 389.

(149) المصدر أعلاه لوحة 411. ويستفاد من النص بعض مناطق انتشار الزوايا الفرعية لأم الزوايا وبعض مصادر اقتصادها.

ترجمته. في حين أن شيوخها في العهد الأول هم : الشيخ أبو عبد الله ابن ناصر رسميا، وأبو سالم العياشي أحيانا.

2. من حيث كتب الدراسة المعتمدة : في الفترة الأولى انصب الاهتمام أكثر على صحيح البخاري، والدواوين الحديثية الأخرى لا تذكر إلا عرضا. على عكس هذا العصر الذي نستطيع أن نحدد فيه، ما قرئ ويقرأ فأقول : «الموطأ للامام مالك وصحيح مسلم، وسنن ابن ماجة، وجامع الترمذي وسنن أبي داود، وصحيح البخاري، وارشاد الساري في شرح صحيح البخاري» (150). ثم «السنن الصغرى للنسائي، والشفاء للقاضي عياض، والأربعين النووية، والجامع الصغير للسيوطي» (151). وعلى علو كعب الزاوية الناصرية في الحديث وعنايتها به شهادتان رسميتان، هما :

أ. اعفاؤها من الامتحان الذي أخضع له الشريف محمد بن السلطان لما تولى درعة كل من يريد أن يقرأ صحيح البخاري من أهل إيالته في نسخة لا نقط فيها.

ب. خطاب السلطان مولاي اسماعيل في ملا من أهل العلم، وأرباب دولته لابي عمران موسى بن محمد الكبير بقوله «مرحبا بدار العلم».

وهذا لم يكن صدفة وإلهاما. بل لازالت أسبابه تتخذ ويسعى له سعيه من لدن أبي عبد الله ابن ناصر مؤسس الزاوية. حيث كان يسعى سعيا حثيثا في الحصول على أجود النسخ وأصحها، خاصة صحيح البخاري الذي عنده منها :

— نسخة من أصل ابن سعادة واعتمدها صدرا من ولايته.

— نسخة من طريق أي ذر الهروي، واختيار أبي ذر الهروي، لأن أبا ذر يروي عن الكشميني وهو عن الفربري عن أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري أهداها إليه تلميذه أبو زيد عبد الرحمن المكناسي. فاعتمدها بقية حياته. ونسخ أخرى أهداها إليه تلامذته :

— أبو علي اليوسي

— وأبو مروان التجمعتي، عبد الملك

— وأبو سالم العياشي.

— وأبو الحسن علي المراكشي.

---

(150) مقروءات أبي عمران موسى بن محمد الكبير بن محمد بن ناصر على أبي العباس أحمد بن ناصر.
(151) من اجازة أبي اسحاق الأستاذ ابراهيم بن علي السباعي لابي عمران موسى بن محمد الكبير.

وفي هذا يقول ابن عبد السلام في المزايا : «وقد كان أبو عبد الله ابن ناصر والد أبي العباس في زمانه معتنيا غاية الاعتناء، بتحرير الروايات، وتوجيهها بأحسن التوجيهات، يشهد بذلك ما كتبه على أصله من ابن سعادة أبي عمران قرين الأخذ مع عياض على أبي علي الصدفي. (...) وعندهم أصل ابن سعادة إلى آلان.

ثم إن أبا زيد عبد الرحمن المكناسي، أهدى لشيخه ابن ناصر المذكور نسخة رباعية من ثمانية عشر جزءا رواية أبي ذر الهروي من المشارقة، يروي عن البخاري بواسطة الكشميني عن الفربري عنه.

ثم تنافس تلامذته : اليوسي، والتجمعتي، والعياشي، وأبو الحسن علي المراكشي، في ذلك فجاء شيخه بنسخة جيدة مقروءة. فرأى الشيخ اختيار رواية أبي ذر، فالتزم القراءة منها واعتمدها حتى أظهر ابنه أبو العباس رواية اليونيني، فاعتمدت إلى الآن...» [152].

وفي عهد أبي العباس ازداد الاهتمام بتحصيل النسخ، فأدخل لأول مرة إلى المغرب النسخة اليونينية اشتراها من المشرق بتسعين دينارا، وفي هذا يقول ابن عبد السلام : «... التي قدم بها أبو العباس أحمد بن ناصر من مكة شراء بتسعين دينارا. ثم جزأ منها نسخة من ثلاثين جزءا لكل يوم من رمضان جزء بخط حسن فاسي، إذ كان أصلها بخط مشرقي فاعتمدوها من زمن أبي العباس إلى الآن. وهو أول من أدخلها المغرب فيما علمته لأني ذكرتها لشيخنا الحافظ ادريس بن محمد العراقي فلم يعرفها، إلا أنه عرف ترجمة مؤلفها».

لكن هناك أمر يجب التنبيه إليه وهو أن اليونيني، كان في مبدإ أمره، رحالا للأمصار في طلب الحديث. ثم تولى المملكة بعد. ولما التقى بالامام ابن مالك صاحب التسهيل والكافية والخلاصة وغيرها. عرض عليه اليونيني روايته هذه، فأصلح له كثيرامن اللحن والتحريف في الرواية، ولعله هو السبب في حواشيه على الصحيح، المسماة ب «التوضيح» ★، وبقي فيها مما لم يصلحه ابن مالك مواضيع نبه على بيان الوهم فيها القسطلاني إذ ظفر بجزء أو قطعة منها. تراه يقول : ووقع في

---

(152) المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا. لوحة 17 /18.

★ هو التوضيع والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، كشف الظنون، ص 553، ج1.

فرع اليونينية كذا والجواب عنه كذا، أو لم يظهر لنا فيه جواب، ونحو ذلك وأما ابن حجر فلم يظفر بها ولا عرج على ذلك أصلا» (153).

وهذه النسخة اليونينية، ذكر أبو العباس أحمد بن ناصر في رحلته عند حديثه عما رآه من الكتب، عند ولد الشيخ تاج الدين مفتي الحنفية، خطيب الجمعة بمكة في حجته تلك. ولم يذكر أنه اشتراها يقول : «وصلينا الجمعة بمكة وخطب الخطيب خطبة السابع، وهو ولد الشيخ تاج الدين مفتي الحنفية، وولده هذا رأيته والتقيت به من باب منزلنا بالمسجد الحرام، وأخبرني أنه جارنا هو وولده الخطيب المذكور، وآخر أصغر منه وسألته عن بعض شراح الهمزية، وقال إنه عنده ابن حجر وقلت له : أردت أن أنظر فيه الشيخ مرزوق الكفافي (154)، وبعث ولده وأتى به. وأوقفني أيضا على الثالث والأول من البرقاوي (154) على البخاري. وأخبرني أن الثاني كان عند الشيخ عبد الله بن سالم البصري. ورأيته. وأكثر نقله عن الكرماني والزركشي، وهو حاشية.

والشيخ عبد الله هذا، التقيت معه بالمسجد الحرام يوم دخولنا هو والشيخ محمد النخيلي، وفرح بنا ووقف معنا في كراء المنزل تقبل الله، وذهبنا لداره أيضا يوم الجمعة ووجدنا في بيته كتبه، والكتب محدقة به يمينا وشمالا ووراءه وأمامه، ورأينا عنده مسند الامام أحمد في ثلاث مجلدات كبار، وأخبرني أنه كتب نسخة من اليونينية، وشرع في شرح البخاري، وبلغ فيه الحج. وزعم طلبة مكة أنه فاق أهل الحرمين في الحديث، وفي غيره من سائر العلوم. وهو شافعي المذهب، وأجازنا سائر مقروءاته ومروياته، ومسموعاته (155)».

وهذا لا ينفي أن يكون :هو مشتريها، أو نفي كونه أول من أدخلها إلى المغرب، لأنه رحمه الله شديد الحرص على لقاء كبار العلماء المحدثين في عصره، عظيم

---

(153) المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا، لوحة 17.

(154) كذا في الأصل، كان الكفافي والبرقاوي مثار تساؤل الأستاذ فاما مرزوق الكفافي فلعله تحريف لابن مرزوق محمد بن محمد بن أحمد الخطيب بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن مرزوق التعجيسي التلمساني المعروف بالكفيف المولود سنة 824هـ المتوفى سنة 901هـ وهو ولد ابن مرزوق الحفيد. اعلام الجزائر لعادل أبونهيض ص 182 منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

(155) الرحلة الناصرية ص 189 /190 ج 1.

الاستفادة منهم واضح العبارة في تسطير أخبارهم، فعن لقائه مثلا بالشيخ محمد أكرم بن الشيخ عبد الرحمن مفتي الهند، يقول : «واجتمعت هناك بالشيخ محمد أكرم بن الشيخ عبد الرحمن مفتي الهند، وهو رجل عالم له تأليف على رجال البخاري، واختصر البخاري في مجلد، حذف الأسانيد والمكرر. وهو ضرير كبير السن، به مرض فلزم بيته،... وأخبرني ولده الشيخ محمد أنه شرح نخبة ابن حجر في عشرين كراسة، وله تآليف في الرد على الروافض. وهو رجل صالح محقق فيما ذكروا» (156).

وعلى هذا المنوال ذكر من لقيهم من الأعلام بمكة. وما من شيخ شيخ إلا ويذكر طرفا من أخباره (157). وكان شديد الرغبة في تملك الكتب، فاشتراها بالأحمال، وخاصة في حجته الأخيرة التي اشترى فيها جملة وافرة عند رجوعه.

قال وهو يتكلم عن إقامتهم بمصر بعض أيام صفر وأربعة عشر يوما من ربيع الأول : «واشترينا جملة وافرة من الكتب، فالله ينفعنا بها أبدا، آمين آمين» (158).

ولعله استسلف ثمنها حتى جاء المدد من تمكروت اذ نجده بعد هذا يقول : «وبعث لنا أهلنا مع وكيلنا سيدي عبد العزيز، ما أبرأ الله به ذمتنا مما استسلفناه بطرابلس أبرأ الله ذمتهم من جميع التبعات وجزاهم عنا خيرا» (159).

كما اتخذ ناسخا ينسخ له الكتب خصيصا بالزاوية، وهو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر السويدي المكناسي، وزوجه من آل بيته. وبذلك أصبح رصيده من الكتب هائلا جدا. ولم يعد يسعه الحصير الذي اتخذه والده أبو عبد الله مقرا لخزانته. فبنى لها خزانة رائعة، إذ جلب لها أنواع الزجاج من فاس. ورتب فيها الكتب ترتيبا جيدا حسب المواضيع.

وفي وصف هذه الخزانة يقول أبو عمران موسى بن محمد الكبير الناصري :

علم المحاسن قد أناخ بروضة	ذات السنا ومقر دين محمد
راقت فأبرق نورها أفق العلا	فتبلج الاصباح أسنى مقصد
بيت حوى كل المحاسن فازدهى	عجبا وفاق على كل مشهد

(156) المصدر نفسه ص 192 ج 1.
(157) نفسه ص 208 ج 1 وما بعدها تحت عنوان ذكر فيه من لقيهم في الحرم المكي من الأعلام.
(158) الرحلة الناصرية ص 110 ج 1.
(159) المصدر نفسه 186 ج 2.

بهر العيون بهاؤه وسناؤه — وسبى العقول بحسنه المتجدد
إن قلت فيه أنه شمس الضحى — أو فيه من لؤلؤ لم تفند
هبت معالي السعد في عرصاته — والزهر لاح في أعاليها الند
لم يبق بيت للمعالي مهذب — إلا تأخر عن معالي السؤدد
أضحت تلاحظه البدور تأدبا — ومن الحياء يروم أعلى مقصد
حازت مفاخره سناء المجد من — برد الليالي وحسن صدق تهجد
أزرت بتيجان العقيق كأنها — حصباء در، في الزي من عسجد
وليال مشرقة تلوح بدورها — ذات البهاء بحسن طلعة أحمد
الله أكبر ما أعز قوامه — فعماده من لؤلؤ وزبرجد
قد قصرت فيه المعالي كؤوسها — وتفاضلت في حلي أم معبد
لو رام قصدا غير ذاك لناله — في سلك در، كان أسهل مقصد
هذا هو المجد الالهي لا كمن — غر الأنام بزخرف متبدد
قسما بمكة والمقام محمد — ما صنع هذا البيت من عمل اليد
بلغ المشارق والمغاربة صيتها — رعيا لها ما مثلها لم يوجد [160]»

وكان رحمه الله، لا يمنعها من مستحقيها فوضع لها نظاما مكن العالم والمتعلم من الاستفادة منها دون أن يتسبب في ضياعها وفي هذا يقول محمد بن عبد السلام الناصري في «المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا» : «ومما أحدث بها، تضييع خزانة الكتب بها، بتركها من معاهدتها كل سنة بجمع ما بيد الطلبة منها بالزمام، اذ كانوا أخذوه بذلك، فترد إليهم بذلك، ومن استغنى عن شيء منها، رده وضرب على زمامه ومن رغب في كتب أخرى، أخذها من يد من ردها، أو أخرجت له بالخزانة، فنشأ عن ذلك تمرين الطلبة، ومعرفتهم ما حوته الخزانة مما لم تحوه، فتسبب عن ذلك مزيد علم وانتشاره.

هذا الذي أدركنا عليه القوم في سيرتهم، في كتب الأحباس. والآن أهمل ذلك كله، فنشأ عنه ضياع الكتب، وجهلها. حتى إن طلب منها أحد الآن كتابا لا يعرفون أهو في خزانتهم أم لا. وسير بها إلى الآفاق، وكم رددنا منها إلى محله بالفداء وغيره».

---

(160) الدرر المرصعة، لوحة 390 /391.

إلى أن قال : «وشاع وذاع أن الشيخ أبي العباس أحمد بن ناصر أوصى أهاليه عن الكتب، وقال في وصيته : إن أنتم حفظتموها وتعاطيتموها كما هو المألوف، حفظها الله لكم، وجلب لكم غيرها، والعكس بالعكس» (161)

وقد أدت هذه الخزانة دورها كاملا في نبوغ طلبة الزاوية، إلى جانب أساتذتها الأكفاء. ذلكم النبوغ الذي أعفاها من امتحان المولى محمد بن السلطان اسماعيل بين جميع قبائل درعة، في قراءة صحيح البخاري. وذلكم النبوغ الذي دعا المولى اسماعيل في مجلسه الحديثي الرمضاني بين أرباب دولته، وعلماء مملكته، أن يقول لابي عمران موسى بن محمد الكبير : مرحبا بدار العلم.

وأخيرا أحب أن أنبه إلى أن هذه الخزانة، وإلى أيام محمد بن عبد السلام الناصري الذي بكى على ضياعها، ضمت من كتب الآثار، حسب ما جاء في رسالة له إلى شيخه فخر الاسلام أبي العلاء العراقي (162) (بفاس) بتاريخ خامس وعشري محرم عام اثنتين وثمانين ومائة والف (1182 هـ) وقد عزم عليه أن يقارن له ما لدى الزاوية الناصرية من الكتب وما في فاس : الفائق للزمخشري، والأول من نهج الكفاية، والكفاية في مختصر النهاية، وزيادة الجامع الصغير للسيوطي في سفرين، واعراب مشكل الحديث للسيوطي سماه «عقود الزبرجد»، والجمع بين الصحيحين للفرغاني، وشرح السنة للبغوي في خمسة أجزاء ضخام، والتذكرة للقرطبي والدلائل لثابت السرقسطي، والجمع بين الصحيحين لعبد الحق الأزدي وعمل اليوم والليلة للنسائي، والمختار بين المنتقى والاستذكار للتلمساني، والمبهمات للعراقي، وشرح العمدة لابن الأثير، وعلوم الحديث لابن الصلاح، والمطالع لابن قرقول في ثلاثة أسفار، وكنز العمال في ستة أسفار، ومسند الفردوس، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، وغريب الحديث لابن الجوزي، والدر النقي في الرد على البيهقي، وشرح أربعين البيهقي لابن حجر، وجزء من شرح ابن ماجة للحافظ الدميري، والثالث من جامع الأسانيد للذهبي، والعيني على اليوم والليلة بخطه، وتخريج أحاديث الكشاف لابن حجر،

---

(161) المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا لوحة 52 /53.

(162) هذه الرسالة ظفر بها أبو الاسعاد الكتاني وذكرها في رسالة له حول المكتبات الاسلامية. ومنها نسخة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 3002. انظر دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت للمنوني ص 3173.

وتلخيص المستدرك بخط الحافظ ابن حجر، والأخير من ميزان الذهبي بخطه، والأول من مسند الفردوس للديلمي، والترغيب والترهيب لابي القاسم بن اسماعيل بن زائد.

وذكر من التواريخ :

ـــ تاريخ ابن عساكر. قال : فيه جزء ضخم من تجزئة عشرين.

ـــ والبداية والنهاية لابن كثير، في سبعة أسفار.

وغير ذلك مما لم يتيسر له استقصاؤه.

وعن تآليف السيوطي قال «وأما تآليف السيوطي، فلا تكاد تنحصر هنا كثرة، وأكثرها بخطه» ثم قال : وأما شروح البخاري، ومسلم، وحواشي السنة مما هو متداول من كتب الحديث فلا يحصر كثرة.

ويظهر أن صيحة محمد بن عبد السلام السابقة، كانت صيحة في واد، فلم يسمعها أحد، واستمر ضياع الكتب، أكثر مما جاء في رسالته إلى شيخه، ما لم يكن ضمن ما أخذ وحفظ بالخزانة العامة بالرباط.

على أنه والى الآن فقط بقي فيها حوالي أربع وثمانين وأربع آلاف مخطوطة. منها من الكتب الستة التي هي دواوين الاسلام، لا سيما صحيح البخاري العشرات إن لم أقل المئات. فلو لم يكن لرائدي المدرسة الناصرية التمكروتية ـــ أبي عبد الله ابن ناصر، وخليفته أبي العباس ـــ من جهد في خدمة السنة النبوية الشريفة إلا تلك الخزانة، وملؤها بأمهات مصادر السنة النبوية التي ذكرت مما تيسر لي معرفته من محتوياتها عبر العصور، في فترة زمنية كاد العلم أن ينقرض فيها في المغرب لكثرة ما عرفه من الفتن لكان كافيا.

ولو لم يكن للزاوية الناصرية من خدمة للسنة النبوية إلا الاحتفاظ بخزانتها الأثرية وحدها في العالم بنسخة من تاريخ خليفة من خياط لكفاها خدمة. فكيف وبها من مصادر الفقه، والتفسير، والتصوف، والمنطق... الشيء الكثير.

وكيف بخدمتها لها وقد أنجبت خيرة العلماء، أهل الحفظ والاتقان ورؤساء الاسلام، أمثال : أبي علي اليوسي، وأبي مروان التجمعتي، وأبي سالم العياشي، وأبي العباس أحمد بن ناصر، وأبي اسحاق ابراهيم بن علي السباعي الأستاذ، وغيرهم وغيرهم.

ويضاف إلى هذا وذاك، تمثل أربابها وأولي الأمر فيها للسنة النبوية — في سلوكهم — على ووجهها المألوف.

وفي هذا المعنى يقول اليفرني [163] في صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر : «ولقد كان بعض أشياخ العلم بفاس [164] يقول في الحديث المشهور «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» إن لم تكن هذه الطائفة الآن بتمكروت فلست أدري من هم لاقامة السنة فيها على وجهها المألوف» [165].

وهذه القولة أوردها اليفرني فيترجمة الشيخ الخليفة أبي العباس أحمد بن محمد ابن ناصر المتوفى رحمه الله مساء يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الثاني عام تسع وعشرين ومائة والف (1129هـ).

ملحق خاص بخزانة الكتب بتمكروت

كانت خزانة الكتب العلمية بتمكروت في عهدها الزاهر من أعظم خزائن الكتب بالمغرب، إن لم تكن من أعظمها في العالم الاسلامي.

وقد حدثني «السي الشيخ» (نقيب الزاوية حاليا) أنها كانت تضم حوالي ثلاثين الف مجلد، ولا مبالغة في ذلك بعد ما رأينا مدى العناية التي أولاها الشيخ أبو العباس أحمد بن ناصر ونظام الاعارة فيها الذي وضعه لها، ووصيته أهله بالمحافظة عليها.

---

(163) محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله السوسي المراكشي المشهور باليفرني. كان على قيد الحياة عام 1155هـ.
من مؤلفاته :
أ. «نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي».
ب. «صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر».
ج. «روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف» أو «الظل الوريف في مفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف».

(164) عينه أحمد بن خالد الناصري في طلعة المشتري، بأنه أبو محمد عبد القادر الفاسي. ص 151 ج 1.

(165) طلعة المشتري ص 98 ج 2.

وهي إلى أواخر الثمانينات من القرن الثاني عشر لازالت تثير انتباه العلماء لدرجة أن طلبوا مقارنة محتوياتها بمحتويات فاس. مع أنها تعرضت للضياع في ذلك العهد لأسباب نفهمها من مقتبساتنا من محمد بن عبد السلام في الزوايا. وهي :

ـــ العهد بالنظر فيها إلى غير المؤهلين لذلك.
ـــ ترك الأخذ والعطاء فيها بالزمام على الطلبة والمعلمين.
ـــ السير بها في الآفاق والأخذ الابتزازي ولعله من فعل الهجمات المتوحشة لأيت عطاء، في عهد (السيبا) الفوضى...

وأضيف إلى ذلك عاملين آخرين طرءا بعد ابن عبد السلام وهما :

ـــ تحويل مقرها مرتين ما بين أوائل السبعينات، وأواخرها. مما عرض مخزونها لأيدي العمال والعبيد،...

ـــ انتقاء حوالي (1363 مخطوطة) لحفظها بالخزانة العامة وهي المشار إليها غالبا بحرف (ق)، ومن ضمن ذلك النسخة اليونينية التي أدخلها أبو العباس أحمد بن ناصر لأول مرة إلى المغرب...، والنسخة الوحيدة في العالم من تاريخ خليفة بن خياط وعليها اعتمد محققه بالعراق...

قلت : ان دار الكتب الناصرية ما تزال تحتفظ إلى الآن على الكثير من ذخائر المخطوطات في شتى فنون العلم، فقها، وتفسيرا، وتصوفا، ولغة، ونحوا، وتصريفا، وبلاغة، وتاريخا، وجغرافية ومنطقا، وفرائض، وحسابا،...

ولئن لم يعرف لها أغلب الباحثين هذه الميزة، فإن الزوار الأجانب وخاصة الاوربيين يؤمونها كثيرا، وغالبا مايذهلهم ما يرون فيها من المخطوطات إما لجودة خطوطها وأناقته، وإما لقيمتها التاريخية، واما لموضوعاتها العلمية.

يدل على ذلك أنها ثالثة العوامل الجالبة للزوار الأوربيين إلى المنطقة، وهي معمل الفخارة، وكثبان الرمال المتواجدة بتنفو على بعد حوالي خمس كلمترات من تمكروت، والخزانة الأثرية، إلى جانب هوائها الطلق النقي.

إن دار الكتب الناصرية ينبغي أن تستغل للعلم قبل أن تستغل كتحفة تاريخية، فهناك من هي أولى بها من ذلك كخزانة ابن يوسف بمراكش، وخزانة

القرويين بفاس... فإنها أقدم منها وأكثر منها قيمة في الجانب التاريخي. حقيقة أن هناك مشاكل تعترض مريد الاستفادة منها، أهمها :

— ازدواجية إدارتها : فقد اتجهت إليها لاطلع فيها على بعض المخطوطات الحديثية، فطالبني مرشد الزوار بها برخصة من وزارة الأوقاف، واتصلت بمديرها السيد عبد الرحمان الناصري ليساعدني، فأبدى أسفه على عدم استطاعته ذلك لأنه تابع اداريا لوزارة الثقافة، وأن علاقته بالمرشد ليست في متسوى توسطه لي لديه.

وهذا ما دفعني إلى الاكتفاء بتصفح دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت في الاشارة إلى بعضها للاعتبارين التاليين :

— قدم تاريخ نسخ المخطوط.

— تمام النسخة.

وهاكم بعض النمادج.

المخطوط	رقمه	ترتيبه	عدد أجزائه	تاريخ النسخ	خطه
صحيح البخاري :					
	960	514	4	1011هـ	مغربي
	961	515	6	1213هـ	مغربي
نسخة تامة	996	541	20		مغربي
نسخة تامة	1000	545	4		مغربي
نسخة تامة	1177	647	4		مغربي
نسخة تامة	1195	697	2		مغربي
نسخة تامة	1232	693	5	1084هـ	مغربي
السفر الأخير منه	1295	733	1	1021هـ	مغربي
النصف الأول منه	1297	734	1	846هـ	مشرقي
مجلد منها	1353	769	1	1009هـ	مغربي
الخمس الأخير	1423	817	1	1022هـ	مغربي

المخطـــوط	رقمه	ترتيبه	عدد أجزائه	تاريخ النسخ	خطـه
بعض شروح البخاري وما إلى ذلك : فتح الباري :					
الجزء (17)	943	502	1	954 هـ	مشرقي
ج 3 مقابل	1397	795	1	1080	مشرقي
مقدمة فتح الباري	383	144	1	1077 هـ	مشرقي
أرشاد الساري :					
ج 5 من تجزئة (1)	382	143	1	1117 هـ	مغربي
الأجزاء (1،3،5،6)	1938	500	4	1150 هـ	مغربي
ج 2	1395	794	1	1150 هـ	مغربي
ينقصها الجزآن (12،24)	2142	2288	24	1077 هـ	مشرقي
ج 3	2522	2799	1	955 هـ	مشرقي

زاد المجد الساري لمطالع صحيح البخاري، لمحمد التاودي بن الطالب بن سودة :

ــ الجزء الأول مبتور الأول ــ رقم المخطوط : 2825 ــ ترتيبه 2445.

ــ الأول والثاني مبعثر : رقم المخطوط : 3099 ــ ترتيبه 3785.

شرح مختصر البخاري لابن أبي جمرة : الشارح : علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري ، منه :

ــ نسخة بخط شرقي تحت رقم 1195 ترتيب 1943.

المرائي الدالة على فضل شرح مختصر صحيح البخاري لعبد الله بن سعيد بن أبي جمرة، منه :

ــ نسخة بخط مغربي ضمن مجموع 1182 ب 768.

شرح الجامع الصحيح للكرماني منه :

ــ نسخة بخط شرقي تحت رقم 3182 ترتيب 4077

النصف الأخير من شرح صحيح البخاري لبعض المغاربة. منه :
ــ نسخة بخط مغربي تحت رقم 2861 ترتيب 3472.

التوشيح علي البخاري للسيوطي. منه :
ــ نسخة بخط مغربي تحت رقم 1241 ترتيب 701 تاريخ النسخ 1004

تشنيف المسامع ببعض فوائد الجامع للبخاري. لعبد الرحمن الفاسي. منه :
ــ نسخة بخط مغربي تحت رقم 2131 ترتيب 2285 تاريخ النسخ 1197 هـ.

الجزء الثالث من تعليق على صحيح البخاري، المعلق مجهول لحد الآن ــ منه :
ــ نسخة بخط شرقي تحت رقم 2800.

شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك النحوي. منه :
ــ نسخة بخط مغربي ضمن مجموع 709 ترتيب 336 د.

تعليق على الجامع الصحيح. المعلق غير معروف. منه :
ــ نسخة بخط مغربي ضمن مجموع 709 ترتيب 335 جـ.

صحيح مسلم. أذكر من نسخه :
ــ الأول منها بخط مغربي تحت رقم 757 ترتيبه 305 تاريخ نسخه (988هـ)
ــ نسخة بخط مشرقي تحت رقم 988 ترتيبه 535 تاريخ نسخه (723 هـ) في ثلاثة أجزاء.
ــ نسخة تامة بخط مغربي تحت رقم 1263 ترتيبه 712 في عشرة أجزاء
ــ نسخة بخط مغربي تحت رقم 927 ترتيبه 492 تاريخ نسخه (1143هـ) في أربعة أجزاء
ــ الأول منه تحت رقم 2288 ترتيبه 2705 بخط مغربي تاريخ نسخه (1110هـ).

شروح مسلم :
ــ **شرح صحيح مسلم لمحمد بن يوسف السنوسي**. منه :
ــ نسخة تحت رقم 363 ترتيبه 848 بخط مغربي بتاريخ (1112هـ) في جزئين
ــ نسخة أخرى تحت رقم 504 ترتيبه 946.

إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم لمحمد بن خليفة الوشتاني الأبي. منه :
ــ نسخة بخط مغربي تحت رقم 1152 ترتيبه 635 في أربعة أجزاء.
ــ نسخة أخرى مبدوءة بكتاب الامامة مبتورة الأخير تحت رقم 1208 ترتيبه 664.

إكمال الاكمال شرح اختصار صحيح مسلم لاحمد بن سعيد بن الشاط البجائي.
منه :
ــ نسخة بخط مغربي ضمن مجموع 1553 ترتيبه 1074 ج.

شرح صحيح مسلم للامام النووي. منه :
ــ الثلث الأخير تحت رقم 915 ترتيبه 840 بخط مشرقي بتاريخ (821هـ)

الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج السيوطي. منه :
ــ نسخة تحت رقم 905 ترتيبه 473 بخط مشرقي.

سنن الترمذي. منه :
ــ نسخة تحت رقم 697 ترتيبه 329 في أربعة أجزاء. بخط أحمد المكناسي تاريخ النسخ (1290هـ)
ــ الجزء الأول بخط مغربي تحت رقم 958 ترتيبه 513 بخط مغربي.
ــ جزء أوله باب الطهارة تحت رقم 1124 ترتيبه 619 بخط مغربي

السنن الصغرى للنسائي. منه :
ــ نسخه تحت رقم 957 ترتيبه 512 تاريخ النسخ 1289هـ بخط مغربي. في جزئين.
ــ نسخة تامة تحت رقم 1243 ترتيبه 703 بخط مغربي في ثلاثة أجزاء.
ــ اجازة بقراءة سنن النسائي. والمجيز عثمان بن محمد الديمي ضمن مجموع 1995 ترتيبه 2025 بخط مشرقي بتاريخ (906 هـ).

سنن أبي داود. وما عليها. فمن السنن :
ــ نسخة تامة تحت رقم 1222 ترتيبه 685 في جزء بخط شرقي (بتاريخ 1103هـ)
ــ نسخة تامة مهمشة بخط ابن ناصر تحت رقم 1356 ترتيبه 685.
ــ ومن شروحه :
ــ مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود للسيوطي تحت رقم 1282 ترتيبه 701 في جزء بخط الشيخ سالم السنهوري.

سنن ابن ماجة. منها :

ــ السفر الأخير تحت رقم 2177 ترتيبه 2378 بخط مغربي.

ــ الجزء الثاني تحت رقم 2218 ترتيبه 2406 بخط مغربي (عام 1260هـ).

موطأ الامام مالك منه.

ــ ثلاثة أجزاء، من كتاب الحج إلى آخر المساقاة. عليه سماعات، احداها مؤرخة في صفر عام (443هـ) تحت رقم 4 ترتيبها 2.

ــ نسخة تحت رقم 951 ترتيبها 508 بخط شرقي عام (1163هـ)

ــ نسخة تحت رقم 1050 ترتيبها 582 بخط مغربي عام (1106هـ)

ــ نسخة تامة تحت رقم 1242 ترتيبها 702 بخط مغربي في جزئين

ــ نسخة ضمن مجموع 1399 ترتيبها 796 بخط مغربي عام (1189هـ)

ومن شروحه :

تنوير الحوالك للسيوطي. من نسخه :

ــ نسخة تحت رقم 1083 ترتيبها 596 بخط مشرقي.

ــ نسخة تحت رقم 1871 ترتيبها 1741 بخط مغربي عام (1109هـ)

ــ نسخة تحت رقم 2306 ترتيبها 2532 بخط مغربي عام (1099هـ)

تقريب المسالك لموطأ مالك لاحمد بن المكي السدراتي. من نسخه :

ــ الجزء الثاني تحت رقم 1042 ترتيبها 575 بخط عبد القادر شكلانط

ــ الجزء الرابع تحت رقم 2930 ترتيبها 3565 بخط مغربي.

الممهد الكبير شرح موطأ الامام مالك لعمر بن علي العثماني الورياغلي. أوله باب مسح الحصباء في الصلاة. تحت رقم 2501 ترتيبه 2771 بخط مغربي.

شرح موطأ مالك لمحمد عبد الباقي الزرقاني. الأجزاء : الثاني والثالث والرابع والخامس.

الجامع الصغير للسيوطي. أذكر من نسخه :

ــ نسخة تامة تحت رقم 251 ترتيبها 47 بخط مشرقي عام (1036هـ)

ــ نسخة تامة تحت رقم 280 ترتيبها 94 بخط مغربي عام (1034هـ)

ــ أخرى تامة تحت رقم 764 ترتيبها 368 بخط مغربي عام (1101هـ)

ـــ أخرى تامة تحت رقم 1937 ترتيبها 1909 بخط شرقي عام (999هـ)
ـــ أخرى تامة تحت رقم 218 ترتيبها 2380 بخط شرقي عام (1139هـ)
ـــ زيادة الجامع الصغير. منه نسخة تحت رقم 252 ترتيبه 49 بخط شرقي عام (1001هـ)

شروح الجامع الصغير :

ـــ **السراج المنير بشرح الجامع الصغير. لعلي بن أحمد العزيزي.** من نسخه :
ـــ الجزء الأول تحت رقم 934 ترتيبه 496 بخط شرقي عام (1037هـ)
ـــ الجزء الثالث تحت رقم 2355 ترتيبه 2593 بخط شرقي عام (1102هـ)

الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير. لمحمد بن عبد الرحمن العلقمي الشافعي.
من نسخه :
ـــ نسخة تحت رقم 1967 ترتيبها 1987 بخط شرقي.
ـــ أخرى تحت رقم 2430 ترتيبها 2703 بخط شرقي عام (1079هـ).

التيسير بشرح الجامع الصغير. لعبد الرؤوف المناوي. من نسخه :
ـــ نسخة تامة تحت رقم 990 ترتيبها 537 في ثلاثة أجزاء بخط شرقي.
ـــ أخرى تامة تحت رقم 991 ترتيبها 538 في جزئين بخط شرقي.
ـــ **أحاديث مختارة من جامع السيوطي** ضمن مجموع 2564 ترتيبها 2274ع

مصادر البحث ومراجعه

أولا : المخطوطات :

★ فهرسة أبي الفضل الحسين بن ناصر. ومن نسخها :
ـــ نسخة ضمن مجموع 505 بالخزانة العامة.
ـــ نسخة رقم 3289 خ ع ك مبتورة الأول.

★ الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة، أو (كشف الروعة في التعريف بصلحاء درعة)، اسمان لمؤلف واحد. لمحمد المكي بن موسى الناصري. من نسخه :
ـــ نسخة رقم 265 خ ع ج مصدرة بأسماء المترجمين بها.
ـــ نسخة رقم 2637 خ ع د
ـــ نسخة رقم 3785 خ ع د.

★ فتح الملك الناصر في اجازات مرويات بني ناصر لمحمد المكي بن موسى الناصري سجل فيها الاجازات التي أجيز بها الأعلام الناصريون، وقسمه إلى ثلاثة فصول هي :
ـــ الفصل الأول : اجازات الامام أبي عبد الله ابن ناصر، وأخيه أبي الفضل الحسين
ـــ الفصل الثاني : في اجازات أولاد أبي عبد الله.
ـــ الفصل الثالث : في اجازات أحفاد أبي عبد الله. ومن مخطوطاته :
ـــ نسخة ضمن مجموع 323 خ ع ك.
ـــ نسخة رقم 88 خ ع ج.
ـــ نسخة بالخزانة الملكية تحت رقم 10939 خ م أول مجموع مصورة على الورق.

★ المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا. لمحمد بن عبد السلام الناصري المتوفى سنة (1239هـ) موافق 1823م من مخطوطاته :

ـــ نسخة بالخزانة العامة مصورة على الميكروفيلم من مخطوطة خزانة الأستاذ عباس ابن ابراهيم.
ـــ نسخة بخزانة ابن سودة عبد السلام. قال : إنها في ثمانية كراريس (انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بن سودة ص 56 /57).
ـــ نسخة بخزانة الأستاذ بلماحي (انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بن سودة ص 56 /57)

ثانيا : المطبوعات

ــ الرحلة الناصرية إلى الديار النورانية. لأبي العباس أحمد بن ناصر المتوفى سنة (1129هـ) دون فيها ارتساماته عن وجهته الحجازية الثالثة عام (1121هـ). مطبوعة على الحجر في مجلد يشتمل على جزئين. ومنها نسخة خطية بخزانة تمكروت تحت رقم (1952) رقم الترتيب (1941).

ــ طلعة المشتري في النسب الجعفري لاحمد بن خالد الناصري المتوفى سنة (1315هـ) في 15 جمادى الأولى، موافق : 12 /1 /1815م. حقق فيه نسبة الأسرة الناصرية إلى سيدنا جعفر بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. مطبوع على الحجر، وأعادت المؤسسة الناصرية بسلا نشره بتصوير الطبعة نفسها.

ــ صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر، لمحمد الصغير بن الحاج محمد ابن عبد الله السوسي المراكشي، اليفرني، كان بقيد الحياة سنة (1155هـ) وهو مطبوع طبعة حجرية.

ــ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي الدمشقي المتوفى سنة (1111هـ) مطبوع واسم المحبي الدمشقي محمد أمين بن فضل الله بن محب الله الدمشقي.

ــ دليل مؤرخ المغرب الأقصى : لعبد السلام بن سودة. مطبوع في جزأين.

المراجــع :

ــ المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الاسلامي إلى نهاية العصر الحديث لمحمد المنوني. وهو عبارة عن محاضرات القاها الاستاذ على طلبة شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، ثم نشرتها الكلية في كتاب سنة (1494هـ /1933م).

ــ دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت لمحمد المنوني، نشرته وزارة الأوقاف بأمر من صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله سنة(1405 /1985م).

ــ الجزء الثاني من فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط. نشر مطبوعات أفريقيا الشمالية الفنية. الرباط سنة (1858م).

المصادر الشفوية :

ــ معرفتي الشخصية بالمنطقة.

ــ ما حدثني به «السي الشيخ» نقيب الزاوية حاليا.